

## نونية العقاد

يقول العقاد في سبب نظم هذه القصيدة : " كنا نقرأ أنا وصديقاى الشاعران النايعان " المازني " و" على شوقي " قصيدة " ابن الرومي " النونية التي يمدح بها " أب الصقر " فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدنا خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرنا وقافيتها فنظم المازني قصيدته في مناجاة الهاجر ، ونظم " شوقي " قصيدة في هذا المعنى ، ونظمت أنا هذه القصيدة ، فأهديتها إلى روح " ابن الرومي " وفيها يقول العقاد :

يُهنِيكَ يا زهرُ أطيّارٍ وأفنان  
الطَّير يُنشُد والأفنانُ عيدانُ  
طُوباكَ لستَ بإنسان فتشبهني  
إنني ظمِنْتُ وأنتَ اليومَ ريان  
هذا الربيعُ تجلّى في مَواكبِهِ  
وهكذا الدَهرُ أن بَعَدَها أن  
تَفَتَحَتْ عنه أكمامُ السماءِ رِضى  
وزفه من نَعيم الخُلدِ رضوانُ  
وشائِعُ النُّورِ في البُستانِ باسمه  
والأرضُ حاليّةٌ ، والماءُ جَدْلانُ  
الشمسُ تَضَحُّكُ والآفاقُ صافيةٌ

جَـوَاءِ وَالرَّوْضِ بِالْأَثْمَارِ فَيَنَانُ

وَالنَّسِيمِ خُفُوقٍ فِي جَوَانِيهِ

وَالطُّيُورِ تَرَانِيمٍ وَالْحَانُ

فِي كُلِّ رَوْضٍ فُرى لِلزَّهْرِ يَعْمرُهَا

يَا حَبْذا هِيَ آيَاتٌ وَسُكَاثُ

مُسْتَأْنَسَاتٌ سَرَى مَا بَيْنَهَا عَبَقُ

كَمَا تَرَأَسَلَ بِالْأَشْوَاقِ حِيَانُ

الْوَرْدُ يَحْمَرُ عُجْباً فِي كَمَائِمِهِ

وَالْيَاسَمِينُ عَلَى الْأَغْصَانِ مَيْسَانُ

وَاللَّفْرَنْقُلُ أَثْوَابٌ يَنْوَعُهَا

عَنِ الْبَلُورِ صِنَاعُ الْكَفِّ رِقَانُ

وَاللْبَنْفُسُجُ أَمْسَاحٌ مَمْسَكَةٌ

كَأَنَّهُ زَاهِبٌ فِي الدَّيْرِ

وَحَبْذا زَهْرُ اللَّيْمُونِ يُسْكِرُنَا

مَنْهَن جَامٌ خَلا مِنْ مِثْلِهِ أَلْحَانُ

وَاللَّيْلُ يُحْيِيهِ وَالْأَطْيَازُ هَاجِعَةٌ

بَلَابِلٌ وَشَحَارِيرٌ وَكِرْوَانُ

مَوْذَنُ الطَّيْرِ يَدْعُو فِيهِ مُحْتَسِباً

فَيْسْتَجِيبُ لَهُ بَرٌّ وَغِيَانُ

وَالصَّبْحُ فِي حُلِيِّ الْأَنْوَارِ طَرزُهُ

في الشرق والغرب أسحار وأصلاؤ

كأنما الأرض في الفردوس سايحة

يحدو خطاها من الأملاك ريان

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح

فكل ما في فضاء الله فرحان

إلا المحب الذي لا حبه دنس

ولا مودثه خيب وإدهان

نقاه عن غرس الدنيا شواغله

إن الحداد عن الأعراس شغلان

\* \* \*

ما للطبيعة تجلو حفل زينتها

حتى لكائر منها اللمح ألوان

كأنما مرنت من طول ما صنعت

فليس يخطئها في الصنع إتقان

رُحماك يارب إن الناس قد غلبوا

على الوقار ، وللاهواء شيطان

أقذ علمت بأنا لا قرار لنا

مع الجمال ، وأن الصير وهنان

فما لنا كلما دارت نواظرننا

مدت إليهن أوهاق وأشطان

من كل الألقه بأحسن طلعتهُ  
مُسْتَمَلِح التَّيِّه ، يَعْطُو وهو خَجَلَانُ  
تَنْصَاحُ طَرَّتِه عن صُبْحِ غَرَّتِه  
فَيَفْضَحُ الصُّبْحَ وَجَهٌ مِنْهُ ضَخْيَانُ  
إذا التَّهَارُ تَجَلَّى مِنْ أَسْرَتِه  
صَحَتْ قُلُوبٌ تَحْيِيهِ وَأَجْفَانُ  
تَرَنَّحَ اللِّينِ فِي عِطْفِيهِ وَاتَّسَقَتْ  
فِيهِ الحَلْيُ ، فهو للأَبْصَارِ مِيدَانُ  
ويستهلُّ بِرُوضِ مَنْ مَلَاحَتِه  
كما استهلُّ بِرُوضِ الزَّهْرِ نَيْسَانُ  
بِالْغِصْنِ شَبَهُهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ  
وَإِنَّمَا هُوَ لِلرَّائِيْنَ بُسْتَانُ  
وهلُّ نَمَاقِطِ فِي غِصْنِ عَلَى شَجَرِ  
أَسْ وَوَرْدٌ وَنَسْرِيْنٌ وَسَوْسَانُ

\* \* \*

يَا مَنْ يِرَانِي غَرِيْقًا فِي مَحْبَتِه  
وَجَدًا ، وَيَسْأَلْنِي هَلْ أَنْتَ غِصَانُ  
وَاضْبِيعَةَ الحَبِّ أَبْدِيَّةٍ وَأَكْتَمَهُ  
وَمَنْ عُنِيْتُ بِهِ عَن ذَاكَ غَفْلَانُ  
لِي فِي مَدِيْحِكَ أَشْعَارٌ أَضُنُّ بِهَا  
عَلَى امْرِيٍّ فَخْرُهُ عَرْشٌ وَابْوَانُ

على مَحْيَاكَ من وشَى الصبا روع  
وللمُحِبِّينَ أَحْدَاقٌ وَأَعْيَانُ  
فَقِيمِ تَعْدَلُهُمْ إِنْ رَاحَ نَاطِرُهُمْ  
بِحُسْنِ وَجْهِكَ يَهْدِي وَهَوَ وَلِهَانُ  
مَا الْحُسْنُ ذَنْباً ، فَمَا لِلْحَبِّ تَحْسِبُهُ  
ذَنْباً مِنَ النَّاسِ لَا يَمْحُوهُ غُفْرَانُ  
هَمَا شَقِيقَانِ فَارْفُقْ أَنْ تَحِيلُهُمَا  
ضِدَّيْنِ بَيْنَهُمَا نَأَى وَهَجْرَانُ  
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ أَنَّ الْحَبَّ مَأْتَمَةٌ  
حَتَّى كَأَنَّ لَيْسَ غَيْرَ الْبُغْضِ إِحْسَانُ  
هَبْهَا جَنَائِدَ جَانِ أَنْتِ آثِمُهُمَا  
مَا كَانَ يُعْصَمُ لَا إِنْسٌ وَلَا جَانُ  
إِنْ الْجِسْمَ مَثَاةً جَوَارِحُهَا  
إِلَّا الْقُلُوبَ فَصَيغَتْ وَهِيَ أَحْدَانُ  
لِكُلِّ قَلْبٍ قَرِينٌ يُسْتَتَمُّ بِهِ  
خَلَقَ وَخُلِقَ فَهَلْ يُرْضِيكَ نَفْصَانُ  
إِنَّ التَّعَاطُفَ بِالْأَرْوَاحِ بُغِيثُهَا  
وَفِي الْوُجُوهِ عَلَى الْأَرْوَاحِ عِنَاوَانُ  
تَمَثَّلُكَ الصَّخْرَ أَحْظَى مِنْكَ إِنْ نَفَرْتِ  
عَنْكَ الْعَيُونُ ، وَلَمْ يَشْمَلْكَ وَجْدَانُ  
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرِ حُبِّ الْجَمَالِ لَهُمْ

حب لما كان في الدنيا ومن كانوا

ليأمن الطير أنا لا تكيد له  
ولا نخف مكرنا وحش وعقبان  
لو سمع الوُزُقُ نجوانا لكان لها  
مما غصون نصيرات وأحضان  
أو كان يذري حيي النبت عفتنا  
لم تغض منه بأيدينا أغصان  
أو ينظر السائم النابي طويتنا  
لم تالف القفر أرم وغزلان  
ولا اتقى الحوت شراً حين يبصرنا  
إذا وقته شباك الإنس قيعان  
يا ليت أن لنا كهفاً تعود به  
إن راح يفرعها بغي وعدوان  
ما ضرر قانصها أن لا يكون لها  
غير الفلا وحجاز الأفق فضبان  
أين الحمام تشدو في أرائكها  
من الحمام يشويهن مبطان  
أو الطيور على السقود ناضجة  
من الطيور تهادهن أفنان  
لو أطلقوها كما شاءت لكان لهم

مِنهَا قِيَانُ كَمَا شَاؤُوا وَنِدْمَانُ

\* \* \*

هَلْ يَعْرِفُ الْبَيْضُ أَنَّ الْحَسْنَ جَزْهَرَةٌ

لَهَا الثَّرَاءُ ، ثَرَاءُ النَّفْسِ ، أَثْمَانُ

يَفْنُو نَفَائِسَهُ مِنْ لَا يَسُومُهُ

وَقَدْ يَعِزُّ عَلَى اللَّالِ قَنِيَانُ

يَا جَوْهَرًا بَتُّ أَرْعَاهُ عَلَى أُمَّمِ

رَعَى الشَّحِيحِ ، وَمَالِي فِيهِ سُلْطَانُ

مَا فِي يَدِي مِنْهُ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

وَلِي عَلَيْهِ مَعَالِيْقُ وَأَعْيَانُ

قَدْ نَلِثُ مَا نَلِثُ مِنْ حَظِّ بِهِ غَرَضًا

وَقَدْ تَوَلَّى ، فَحَظِي مِنْهُ فُقْدَانُ

إِنِّي إِلَى الرَّعَى مِنْ عَيْنِيكَ مُفْتَقِرُ

يَا ضَوْءَ قَلْبِي ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مُدْجَانُ

مَنْ لِي بِمَهْدِكَ تَرَعَانِي لَوَاحِظَةٌ

وَرَبُّ مُسْتَقِيطٍ يَزَعَاهُ نَعْسَانُ

لَوْ أَسْتَطِيعُ لَوْقَاهُ وَظَلَّالَةٌ

قَلْبٌ تَتَامُ الدَّارَارِي ، وَهُوَ جَوْلَانُ

أَبَيْتُ أُزْجِي إِلَيْهِ كُلُّ ضَاكِكَةٍ

مِنَ الْأَمَانِي يُوْجِهِينَ فَتَانُ

أُزْجِي عَرَائِسَ أَحْلَامِ تَيْمَمَةِ

في زرج بالحياء الغضّ يزدانُ

تَمْضِي بِهِ بَيْنَ جَنَّاتٍ مَزْخَرَفَةٍ

فِيهِنَّ حُورٌ وَأَمَلَاكٌ وِوَلْدَانُ

وَسَاجَعَاتٌ نَاقِيهَ عَلَى كَنْبٍ

حَتَّى يُنْبَهَهُ مِنْهُنَّ إِزْنَانُ

إِذَا تَتَقَلَّلَ أَوْ أَسْرَى فَمَيِّهُتُهُ

مِنْ خَالِصِ الْعَسْجِدِ الْوَهَّاجِ أَفْدَانُ

مَسْتَمِرِّي طَيْبَ مَجْنَاهَا وَبَهْجَتِهَا

قَلْبٌ غَرِيْرٌ وَلَحْظٌ مِنْهُ سَكْرَانُ

وَيَاتُ لِلْقَلْبِ فِي جَنحِ الظَّلَامِ إِلَى

دَبِيْبِ أَحْلَامِهِ صَغُوْ وَارْغَانُ

حَسْبِي السَّهَادُ إِذَا مَا بَتُّ أَذْكَرُهُ

وَطَرْفُهُ الْأَكْحَلِ الْوَسْنَانُ وَسْنَانُ

إِنِّي لِأَغْنُمُ وَصَلًا فِي تَمْنِعِهِ

وَعَطْفِهِ ، وَكَلَا الْوَصْلَيْنِ مِفْتَاحُ

\* \* \*

مَا ضَرَّ مَنْ نَالَ فِي حِينِ سَعَادَتِهِ

إِنْ فَاتَهُ فِي طَوِيلِ الدَّهْرِ أَحْيَانُ

إِذَا جَنِيَتْ مِنْ الْأَيَّامِ زَهْرَتِهَا

فَلَأَفْنَعُ فَسَائِرُهَا شَوْكُ وَعَبْدَانُ

ولا وَرَيْكَ مَا بِالنَّفْسِ مَقْتَنَحٌ  
أَكَانَ نُجْحٌ لَهَا أَمْ كَانَ حَرْمَانُ  
فَإِنْ رَوَيْنَا ، فَبَعْضُ الرِّيِّ مَظْمَأَةٌ  
وَأَنْ ظَمِينًا ، فَمَا يَزْتَاخُ ظَمَانُ  
أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحْمَى لَهْفَةً وَوَجِيٌّ ؟  
مَنْ ذَاقَ أَوْ لَمْ يَذُقْ ، فَالْكَلُّ لَهْفَانُ  
يَا لَيْلَةَ حُطِمَتْ أَنْوَالُ حَائِكِهَا  
فَلَا يُحَاكُ لَهَا فِي الدَّهْرِ ثَنِيَانُ  
العَيْشُ مِنْ قَبْلِهَا شَوْقٌ نَعَمْتُ بِهِ  
والعَيْشُ مِنْ بَعْدِهَا ذِكْرٌ وَتَحْنَانُ  
طَالَتْ وَلَا غَرَوُ فَالْجَنَّاتُ خَالِدَةٌ  
وَفِي الوِصَالِ مِنَ الْجَنَّاتِ أَلْوَانُ  
أَصَابِحَتْ وَاللَّهُ لَا أُدْرِي لِبَهْجَتِهَا  
أَلَيْلَةَ سَأَفَتْ أَمْ تِلْكَ أَزْمَانُ  
وَكَيْفَ لَا وَهِيَ شَطْرٌ حِينَ أَحْسَبُهَا  
والعَمْرُ شَطْرٌ ، وَفِيهَا عَنْهُ رَجَحَانُ  
لَقَدْ سَقَانَا الهَوَى حَمْرًا مَعْتَقَةً  
صَابِئًا قَبْلَنَا شَيْبٌ وَشَبَابُ  
هِيَهَاتَ لَا تَبْلُغُ الصَّهْبَاءُ نَشْوَتَهَا  
وَلَوْ تَتَاوَلَ مِنْهَا وَرَاءَ الْبَحْرِ نَشْوَانُ  
فَاضَ الهَيْامُ عَلَى قَلْبِي فَفَاضَ بِهِ

نَبِّغْ لَهُ وَرَاءَ الدَّمَعِ شَطَانُ

وَدَدْتُ وَالدَّمَعُ فِي عَيْنِيَّ مُحْتَجِزُ

لَوْ سَأَلَ مِنْهُ عَلَى خَدِي غَدْرَانُ

أَمْسَيْتُ أَرَشَفُ شَهْدًا مِنْ مَرَاشِفِهِ

وَالسَّلْسَبِيلُ بَعْلِيَيْنِ غِيْرَانُ

وَالنَّيْلُ تَجْرَى لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

جَدَاوِلُ لَوْلُؤِيَّاتٍ وَتَعْبَانُ

يُقَوِّدُنَا حَيْثُ شَاءَ الْمَوْجُ وَاطْرَدَّتْ

أَمْوَاهُهُ ، فَكَأَنَّ الْفُلُوكَ وَسُنَّانُ

حَتَّى تَصْرَمَ جَنَحَ اللَّيْلِ وَانْبَثَقَتْ

مِنْ كُلِّ مَطْلَعٍ لِلصَّبْحِ عُمْدَانُ

فَمَا أَفْقَنَا وَعَيْنَ الصُّبْحِ شَارِقَةٌ

وَمَا هَجَدْنَا وَغُولَ اللَّيْلِ سَهْرَانُ

بِنَا سِوَى الشَّمْسِ وَالثُّبُهَانَ نَرِصُدُهَا

شَمُوسَ أَنْسِ مُضِيَّاتٍ وَشُهَبَانُ

سَمِعْتُ أَعَذِبَ مَا يَفْتَرُ عَنْهُ فَمُ

مِنْ الْحَدِيثِ وَمَا سَاغَتْهُ آذَانُ

فَصَاحَةٌ لَثَمَتْ رُوحِي بِهَا شَفَةٌ

لَوْ ذَاقَهَا النَّحْلُ لِمِ يَمْرَاهُ رِيْحَانُ

أَنْفِي لَرَيْنِ التُّهْيِ مِنْ كُلِّ مَا نَقَشَتْ

على الصَّحَافِ أعرابُ ويونانُ

تهتَزُّ بين طَوَايا النَّفْسِ نَبْرُتُهَا  
كَمَا يَمُوجُ لَضَوْءِ الشَّمْسِ خَيْطَانُ  
دِرِّ الدَّسَاتِينِ تَحْدُو وَهِيَ ضَارِبَةٌ  
مَنْ لَيْسَ تَحْدُوهُ أَشْوَاقٌ وَأَحْزَانُ  
وَأَطْرَبَ لَصَوْتِ تَعَالَى أَنْ يُحَاكِيَهُ  
حَاكٍ ، وَتُعْرَبَ عَنْ فَحْوَاهِ أَفْنَانُ  
مَا أَنْشَدَ النَّاسُ إِلَّا كَيْ تُذَكِّرَهُمْ  
صَوْتِ الْحَبِيبِ أَنْشِيدٌ وَأَلْحَانُ  
وَلَا تَعْلَمُ وَزْنَ الْقَوْلِ شَاعِرُهُمْ  
إِلَّا وَكَانَ لَهُ بِالنَّبْضِ مِيزَانُ  
يَا أَمْلَحَ النَّاسِ هَلَا كُنْتَ أَكْبَرَهُمْ  
رُوحاً ، فَيَتَفَقَّأَ رُوحَ وَجْثِمَانُ  
صَدَّقَتْ بَاطِلٌ مَا قَالُوا كَأَنَّهُمْ  
لَا يَكْذِبُونَ ، أَوْ أَنْ الْعَذْلَ قَرَأَنُ  
أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ النَّاسَ أَلْسِنَةٌ  
سَوْدٌ لَهَا غَيْرُ مَا تُبْدِيهِ إِبْطَانُ  
أَحْرَى مَزَاعِمِهِم بِالشَّكِّ أَسِيرُهَا  
فَالْحَقُّ مَتْنِدٌ وَالْإِفْكَ عَجْلَانُ  
وَرَبُّ قَوْلَةٍ زُورٍ قَالَهَا رَجُلٌ

منهم فطافَ بها في الأرضِ ركيان

تداولوها فراحَت في مَذاهبهم

شريعةً نَقَضُهَا كُفْرَ وَعِصْيَانُ

ما كثرةُ المثبتينَ الأمرَ تُثَبِّتُهُ

ولا بِقَلْبَتِهِم لِلْحَقِّ إِيهَانُ

فإنَّ أَلْفَ ضَرِيرٍ لَيْسَ يَعدِلُهُم

بالمُبْصِرِ الفَرْدِ يَوْمَ الشُّكِّ مِيزَانُ

فأضربْ بنعلِكَ دَعَوَاهُمْ فَكلَهُمُو

خَوَاضَ لَيْلٍ ، وَهَمَّ فِي الصُّبْحِ عَمِيَانُ

يَا وَاهِبَ اللَّيْلِ بَدْرًا هَبْ لِمَشْبِهِ

بَدْرًا يَضِيءُ لَهُ وَالْقَلْبُ غَيْمَانُ

أنا الغريبُ ولى بَيْنَ الوَرَى رَجْمٌ

بالرَّغْمِ مَنِي ، وَأَصْحَابُ وَجِيزَانُ

وابعثْ لَنَا الحورَ فالإنسانُ لَيْسَ لَنَا

بخالصٍ مِنْهُ أَحْبَابُ وَأَخْدَانُ

أوَ الكواكبَ سِرْبًا بَيْنَنَا غَزْلًا

إنَّ الفِضَاءَ بِذَلِكَ السَّرْبِ مَلَانُ

## أولاً : لمحات من حياة العقاد

إنه من الضروري عند دراسة أي نص أدبي ، التعرف إلى صاحبه ، والوقوف على أهم ملامح حياته ، ومظاهريته ؛ حتى يمكن التعرف إلى ظروف النص وملابساته ، وإمكانية نقده نقداً صحيحاً .

و"العقاد" قد أقر هذا المبدأ أو هذه الحقيقة ، إذ رأى أن معرفة البيئة ضرورية في نقد الشعر في أي أمة وفي كل جيل (١) .

ومن ثم فإننا عند دراسة نونية "العقاد" أو "الحب الأول" يكون من الضروري التعرف - دون استقصاء - إلى أهم ملامح شخصية "العقاد" كي تكون الدراسة مكتملة الجوانب على الرغم من أن حياة "العقاد" وسيرته مسطورة في كتب كثيرة ، لكن الدراسة تقتضي الوقوف على أهم هذه الملامح في إجمال يغني عن التفصيل .

ففي وقت رزئت مصر بكارثة الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢م ، وتعددت سوءات هذا المحتل وتعاقبت أرزأؤه وخطوبه على الشعب المصري - وتدخل بريطانيا في كل أمور مصر وإخضاعها لنفوذها وسلطانها ، وإغائها للدستور ومجلس الشيوخ وتجريدها من كل سلطان ، وتجريد الشعب من جيشه الوطني في ظل هذه الظروف وبُعيد هذا الاحتلال وتلك النكبات ولد الشاعر "عباس محمود العقاد" وبالتحديد في ٢٨ من يونية سنة ١٨٩٨ بمدينة أسوان التي تزخر بمعال الحضارة المصرية القديمة ، والتي أسهمت في تكوين وتشكيل شخصية "العقاد" وصفاته وطباعه (٢) .

١- انظر شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - عباس محمود العقاد ص٣ - نهضة مصر - الفجالة ١٩٦٣ .  
٢- انظر مولده ونشأته في هذه الكتب : إيداع الشبان وإيداع الشيوخ في دنيا الأدب ، والمقالة في أدب العقاد . ومع العقاد ، والمفكرون والسياسة في مصر المعاصرة ، وأدباء في صور صحفية . وشاعرية العقاد في ميزان النقد ، وجماليات القصيدة المعاصرة ، ومجلة الهلال عدد أبريل ١٩٧٦ والعقاد الرجل والقلم . إلى غير ذلك من الكتب .

وفي هذه المدينة حصل العقاد على الشهادة الابتدائية ، التي لم يتجاوزها في تعليمه الرسمي ، وأصبح أستاذاً لنفسه في مراحل حياته المختلفة ، فاستطاع أن يتقن اللغة العربية إتقاناً ساعده على قراءة عيون التراث العربي الأدبي والديني واللغوي ثم تمكن من اللغة الإنجليزية التي كان يتلقى بها دروسه في المدرسة <sup>(١)</sup> الأمر الذي أتاح له - فيما بعد - قراءة أصول الثقافات الغربية والنظريات الأدبية والفلسفية وساعده ذلك في الاطلاع على أعمال بعض الكتاب والشعراء العالميين أمثال " كارليل " و " هازلت " و " لي هنت " و " أرنولد " هذا بالإضافة على عمله بالصحافة ومشاركته في الحياة السياسية والأدبية - بعد انتقاله إلى القاهرة - وقد غلبت عليه في كل ذلك النزعة النقدية .

كما أنه كان في بواكيره الأدبية ينظم الشعر الوصفي والعاطفي ، ولم يتجه في شعره إلى المدح وتلق أصحاب السلطان ، بل غلبت عليه النزعة العاطفية وبخاصة في الجزء الأول والثاني من شعره تقريباً - ولا أدل على ذلك من تلك القصائد ، لسان الجمال ، ومناجاة ، ومتى ، وليلة الوداع ، وخواطر الأرق ، والحب الأول التي هي موضوع الدراسة <sup>(٢)</sup> .

وقد عمد هووزميا له " شكري " و " المازني " إلى نزعة تجديدية في القيم والمعاني الشعرية بعيداً عن المحاكاة والتقليد .

وهذه النزعة لم تكن فردية بحيث تبرز في الحياة ثم تتلاشى لكنها كانت طليعة جيل جديد غير " شوقي " و " حافظ " و " مطران " ، وقد ساعد هذا الجيل أنه كان متسلحاً بالثقافة العربية الواسعة ، بالإضافة إلى بعض الثقافات

١- حياة قلم العقاد ص ٦٢ ، كتاب الهلال ١٩٦٢ .  
٢- انظر العقاد والتجديد في الشعر ، العوضي الوكيل ص ٨٠ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١ .

الأجنبية . وقد أطلق على هذا الجيل " جماعة الديوان " نسبة إلى هذا الكتاب النقدي الذي أصدره " العقاد " و " المازني " عام ١٩٢١ ، وأودعوه خلاصة فكرهم ونقدهم للتيار المحافظ وشعرائه أمثال " شوقي " و " حافظ " و " عبد المطلب " وغيرهم ، وإن لم يخل الكتاب ( الديوان ) من بعض التحامل على " شوقي " وبخاصة من جانب " العقاد " لكننا نستطيع القول بأنهم قادوا حركة التجديد وأثروا تأثيراً مباشراً أو غير مباشر فيمن أتى بعدهم من الشعراء أو عاصرهم (١) وأسهموا في توجيه الشعر العربي الحديث الوجهة الوجدانية التي لا تزال تلازمه حتى اليوم على الرغم من تطور الوجدان من الفردية إلى الجماعية (٢)

وإذا ما جاوزنا هذه الجماعة إلى قطب من أقطابها وهو " العقاد " والتعرف إلى مفهومه للشعر نرى أولاً أن شعره صورة لحياته بكل ما اتسعت له هذه الحياة من ألوان المشاعر وضروب الأحاسيس ، وهذه هي النقطة التي قامت عليها فلسفات " العقاد " ودراساته الطويلة في تحديد نظريته للشعر .

فالشعر عنده صورة من التعبير عن الحياة الإنسانية من خلال الذات وبوحي من الإحساس الصادق ، كما أنه امتزاج مستمر بين عالم النفس وعالم الحس ، وتلك هي الصورة التي تلتقي فيها حقيقة الإنسان إنساناً وحقيقته شاعراً ، كما يرى أن الشعر هو المحك الذي يلتقي فيه الفكر بالوجدان ، فلا يمكن أن يكتمل عمل شعري جيد دون أن تجتمع فيه عناصر الفكر وخلقيات الأحاسيس والوجدان .

١- أنظر جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث د. عبد العزيز الدسوقي ص١٦٨ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

٢- أنظر فن الشعر د. محمد مندور ص١٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥

كما أنه يرى أن الشاعر هو ذلك الذي أتخذ من حياته موضوعاً لشعره، يعبر فيه عن ذاته وخصائص شخصيته تعبيراً يفصح عنها من حيث صلتها بموضوعات الحياة ومعانيها، وهذا يعني أن كل شيء في هذه الحياة يصلح أن يكون موضوعاً أو مجالاً للشعر مهما كان معروفاً أو منكوراً، مادام يضفي على الحياة والأشياء معانيها الحقيقية .

لذا يرى " العقاد " أنه لولا الشعر لما أشرقت على الحياة صورة من صور الحسن ولظلت على جمالها وفتنتها خرساء جامدة ما لم يصورها الشعر، وعن هذه النظرية يقول العقاد (١) :

والشعرُ ألسنةُ تُفضِي الحياةَ بهَا  
إلى الحياةِ بما يَطْوِيهِ كَتْمَانُ  
لولا القَرِيضُ لكانتْ وهي فَاتِتة  
خَرَسَاءَ ليسَ لها بالقولِ تَبْيَانُ  
ما دَامَ في الكونِ رُكنٌ للحياةِ يُرى  
فَقِي صَحَائِفِهِ للشَّعرِ دِيوَانُ

وهذا معناه أن الشعر يحول ما في النفس إلى أناشيد فياضة بالأحاسيس والمشاعر، يعبر فيها الشاعر عن الحياة وما فيها من مكنونات وبواعث، وهذا ما أكده " العقاد " في مقدمة الجزء الأول لديوانه إذ يقول (٢) : " الشعر يعمق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات، عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك، ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملاّت حقيبتك من أجود صنف من الوقت " .

١- ديوان العقاد . المجلد الأول ص ٧٣ منشورات المكتبة العصرية - بيروت - لبنان .

٢- مقدمة الجزء الأول من الديوان .

ومن ثم فقد تناول " العقاد " في شعره كل الأغراض ومظاهر الحياة ، فتناول الطبيعة بكل ما فيها من عناصر الجمال والفتنة وكل ما يحرك خوالج قلبه ويثير أحاسيسه ، كما تحدث عن الحب والغزل الذي اهتم فيه بوصف الروح والشمائل بعيداً عن الوصف المادي الذي أعده تعبيراً عن الغريزة الحيوانية الذي ينبغي أن يرتفع عنه الشاعر حين يصف علاقته بالمرأة . وفي القصيدة التي بين أيدينا تجسد هذا المعنى ، ويظهر من خلالها أن " العقاد " يوحد في غزله بين متعة الحس ومتعة النفس مما يدل على صدقه الشعوري ويظهر خصائص نفسه ، وخصائص من يحبه بحيث يتألف من ذلك كله غزل نضج فريد يعجب بالجمال ويتجاوزه إلى الإعجاب باغترار الصبا والإدلال على الأيام إدلال ظافر .

كما أنه من خلال غزله يصلنا بالطبيعة وأبنائها صلة الود والرحمة والتعاطف حيث يقوم له جميع أبنائها بوظيفة الرسول الأمين بينه وبين حبيبته، وحيث يتسق الجميع في لحن واحد جميل ، بحيث ينقلنا من خلال تعبيره إلى عالمه لنشاركه مشاعره في الإحساس الكلي بصلتنا بالحياة قوية دفاقة تسري في شعورنا <sup>(١)</sup> .

كما أنه استخدم الطبيعة استخداماً رائعاً حينما تغزل كما سنرى في قصيدة " الحب الأول " .

الجدير بالذكر أن حياة " العقاد " مليئة بالملاحم المتعددة ، لكننا اقتصرنا على أهم الملاحم التي تبرز منهجه الفني واتجاهه الشعري ونهجه في غزله وهذا ما يعيننا في هذه الدراسة .

١- أنظر شاعريه العقاد في ميزان النقد الحديث .د. عيد الحي دياب ص ١٢٦ .

## ثانياً : دراسة النونية ( الحب الأول )

يقول العتاق :

يُهنِيكَ يَا زَهْرَ أَطْيَارٍ وَأَفْنَانَ  
 الطَّيْرِ يَنْشُدُ وَالْأَفْنَانَ عِيدَانُ<sup>(١)</sup>  
 طُوبَاكَ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ فَتَشْبِهَنِي  
 إِنِّي ظَمِئْتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ رِيَانُ<sup>(٢)</sup>  
 هَذَا الرَّبِيعُ تَجَلَّى فِي مَوَاكِبِهِ  
 وَهَكَذَا الدَّهْرُ أَنْ بَعْدَهَا أَنْ  
 تَقْتَحَتْ عَنْهُ أَكْمَامُ السَّمَاءِ رَضَى  
 وَزَفَهُ مِنْ نَعِيمِ الخُلْدِ رَضْوَانُ<sup>(٣)</sup>  
 وَشَائِعُ النَّوْرِ فِي البُسْتَانِ بِاسْمَةٍ  
 وَالأَرْضُ حَالِيَةً ، وَالمَاءُ جَدْلَانُ<sup>(٤)</sup>  
 الشَّمْسُ تَصْحَكُ وَالأَفَاقُ صَافِيَةً  
 جَلْوَاءُ وَالرَّوْضُ بِالأَثْمَارِ فَيِنَانُ<sup>(٥)</sup>

- ١- أطيار : جمع طائر - أفنان الأولى : أنواع ، والأفنان : الأغصان . عيدان : جمع عود وهو ما جرى فيه الماء من الشجر وتجمع على عيدان وأعواد .
- ٢- طوباك : طوبى فعلى من الطيب ؛ كان أصله طُبي ، فقلبوا الباء واواً للضممة قبلها ، ويقال طوبى لك وطوباك بالإضافة لكن العرب لا تقول طوباك على رأي أكثر النحويين إذ إن الصواب أن نقول طوبى لك إن فعلت كذا وكذا، ومنه قول الله تعالى : ﴿ طُوبَىٰ لِّهَمَّزٍ وَحُسْنِ مَقَابٍ ﴾ أي حسنى لهم ويقال أن طوبى شجرة في الجنة - ريان: ضد العطش ، ونبت ريان أي تروى وتتعم .
- ٣- زف : الزفيف سرعة المشي مع تقارب خطو وسكون ، وزفت الريح زفيفاً وزقزقت هبت هبوباً ليناً ودامت . والمعنى أن الزهر قد تفتح وأصبح في صورة جميلة رائعة يتمايل مع الريح الذي مبعثه الجنة .
- ٤- وشائع النور : وشائع الثوب طرائق نسجه ويعني طرائق نسج الورد في البستان توحى بالفرح والسرور : الأرض حالية : حليت أي صارت ذات حلي . وتحلت : ليست حلياً ويقال للشجرة إذا أورقت وأثمرت حالية - جدلان : الجدل بالفتح الفرح . وجدل بالكسر ، بالشئ يجدل جدلاً ، فهو جدل وجدلان : فرح والجمع جدلى والأنثى جدلانه ، والمعنى أن الماء يتفرق فرحاً وسروراً .
- ٥- جلواء : يقال جهة جلواء : واسعة . والسماة جلواء أي مُضحية . وليلة جلواء أي مضحية مضينة - فينان : مثمر .

وللنَّسِيمِ خُفُوقٌ فِي جَوَانِيهِ

وللطُّيُورِ تِرَانِيمٌ وَأَحَانٌ<sup>(١)</sup>

فِي كُلِّ رَوْضٍ قَرَى لِلزَّهْرِ يَغْمُرُهَا

يَا حَبَّذَا هِيَ أَبِيَاتٌ وَسُكَاُنٌ

مُسْتَأْنَسَاتٌ سَرَى مَا بَيْنَهَا عَبَقُ

كَمَا تَرَاَسَلَ بِالأَشْوَاقِ حِبَانٌ<sup>(٢)</sup>

الوَرْدُ يَحْمَرُ عُجْباً فِي كَمَاثِمِهِ

وَالْيَاسَمِينُ عَلَى الأَعْصَانِ مَيْسَانٌ<sup>(٣)</sup>

يستهل "العقاد" معارضته ( الحب الأول ) بوصف الطبيعة وصفاً ينم عن

مقدرة فائقة في الإحساس بما يحيط حوله من مظاهر الجمال والسكر.

فقد فض عنها عقالها الحسي الظاهر، وأحاطها بهالات من خواطره

وأخيلته السامقة، وسوانحه النفسية، التي تنظر بعمق إلى الكون والوجود والتغني

بالطبيعة والحب، وتصوير أشواق الهوى، ونبض قلبه مع نبضات الطبيعة

وخفقات أحاسيسه نحو عناصر الطبيعة والكون، والامتزاج مع الروح المستكنة

للوجود.

١- خفوق : خفق : اضطراب ، وقيل خفق الرجل برأسه من النعاس : أماله ، وقيل إذا نعس نعسة ثم تنبه ، وخفق النجم: إذا تلالاً وأضاء ، وريح خفيفة سريعة . والمعنى : أن النسيم يضرب جنبات الروض فيختال فرحاً وسروراً - ترانيم : الرنيم والترنيم : تطريب الصوت ، والترنم : التطريب والتغني وتحسين الصوت ، ويطلق على الحيوان والحمام .

٢- عبق : عَبَقَ : بقى ولازم ، وعبقت الرائحة أو الطيب في الشيء تعلق به فلا يذهب عنه - حبان : الحب بالكسر : المحبوب والأنثى حبة وجمع الحب أحباب وحَبَانٌ وحُبُوبٌ .

٣- كمانم : من الفعل كمم أي ستر يقال كمم الشيء ستره ، والكم برعوم الثمرة أو غلاف الثمرة وهو ما يستترها ، والجمع كمانم وأكمام - ميسان : نائم ، وقيل الوسن أول النوم ، يقال ومن فلان إذا أخذته سنة النعاس ، وميسان تطلق على الرجل والمرأة .

فقد بدأ برسم صورة رائعة مكتملة الجوانب متناسقة الألوان ، كأنها صورة حية ناطقة مغنية تفوح بالرائحة الطيبة ، فقد ساعده إحساسه الرهيف في تصويره الطبيعة وقد ازدهرت بالأزهار والأطيّار ، وتجلي الربيع في أزهى صورة بعد أن أقفرت الحياة من مظاهره الخلابه ، بالإضافة إلى الأثمار وقد أينعت ، وسرت الرياح المحملة بعطور الأزهار والورود ، فأصبحت الأرض وكأنها بستان متناسق الألوان والظلال يتفرق الماء بين جنباته .

ويأبى الشاعر إلا أن يضيء لنا هذا المنظر البديع بالشمس ذات النور والضيء الساطع في الأجواء الصافية ، ويطل على الأرض وقد امتلأت بالبساتين المحملة بالأثمار التي تتلألأ في هذا الضوء كالذهب .

ويكمل الشاعر الصورة بإحساسه المرهف بامتزاجه بالطبيعة ، فيرى النسيم وقد سري بعبق الأزهار وترنيمات الطيور التي تشدو بأصواتها أعذب الألحان وهي تتمايل مع الأعصان .

ويتجاوب الشاعر مع أصداء نفسه الحاملة ، فيرى الأرض وكأنها قرية عمرت بالزهور المتعددة الأنواع والألوان التي يفوح شذاها طيباً ومسكاً وهذه المناظر الخلابه وتلك اللوحة الرائعة حركت في نفس الشاعر كثيراً من الأحاسيس الحية النابضة والتي أذاعها في بقية القصيدة كما سنرى:

وللْقُرْنُفُلِ أَثْوَابٌ يَنْوَعُهَا

عن البلور صنَاعُ الكَفِّ رِقَانٌ<sup>(١)</sup>

وللبنفسج أمْسَاحٌ مَمْسَكَةٌ

كأنه زَاهِبٌ فِي الدَّيْرِ مَحْرَانٌ<sup>(٢)</sup>

١- رقان : مزركش بكسر الكاف

٢- أمساح : المسح : الكساء من الشعر والجمع أمساح - محزان يقال رجل حزنان ومحزان : شديد الحزن ، وحزنه الأمر يحزنه حزناً وأحزانه ، فهو محزون .

وحبذا زَهْرُ اللَّيْمُونِ يُسْكِرُنَا  
 منهن جَامَ خَلَا من مِثْلِهِ أَلْحَانُ<sup>(١)</sup>  
 وَاللَّيْلُ يُحْيِيهِ وَالْأَطْيَارُ هَاجِعَةٌ  
 بَلَابِلُ وَشَحَارِيرُ وَكِرْوَانُ<sup>(٢)</sup>  
 مَوْذَنُ الطَّيْرِ يَدْعُو فِيهِ مَحْتَسِبًا  
 فَيَسْتَجِيبُ لَهُ بَرٌّ وَغِيَانُ  
 وَالصَّبْحُ فِي حُلْلِ الْأَنْوَارِ طَرَّزُهُ  
 فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَسْحَارٌ وَأَصْلَانُ<sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّمَا الْأَرْضُ فِي الْفَرْدُوسِ سَابِحَةٌ  
 يَحْدُو خُطَاهَا مِنَ الْأَمْلَاكِ رَبَانُ<sup>(٤)</sup>  
 ضَاقَ الْفَضَاءُ بِمَا يَجْوِيهِ فَرِحَ  
 فَكُلَّ مَا فِي فَضَاءِ اللَّهِ قَرَحَانُ  
 إِلَّا الْمَحَبَّ الَّذِي لَا حَبَّهُ دَنَسُ  
 وَلَا مَوَدَّتَهُ خَبُّ وَإِدْهَانُ<sup>(٥)</sup>  
 نَفَاهُ عَنِ عَرَسِ الدُّنْيَا شَوَاغِلُهُ  
 إِنْ الْحَدَادُ عَنِ الْأَعْرَاسِ شَغْلَانُ<sup>(٦)</sup>

١- أَلْجَامُ : إناء للشرب والطعام من فضة ونحوها وقد غلب استعماله في قدح الشرب والجمع جامات وأجوام .  
 ٢- البَلَابِلُ طائر حسن الصوت يألف الحرم ويدعوه أهل الحجاز النفر كِرْوَانُ : جمع كِرْوَانِ ، وهو طائر صغير لا ينام بالليل - الشَحَارِيرُ جمع شَحْرُورٍ طائر أسود فريق العصفور .  
 ٣- أَصْلَانُ : جميع أصيل : وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب - أَسْحَارُ جمع السحر : وهو آخر الليل قبيل الصبح ، وقيل : هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر .  
 ٤- حِدَا يَحْدُو حِدْوًا وحِدَاءً ، زجر الأبل خلفها وساقها ، وتحادت هي : حدا بعضها بعضاً ، والحَدُو سوق الإبل والغناء لها - رَبَانُ : الربان يفتح الراء وضمها : الجماعة .  
 ٥- الخب الخداع والخبث والغش والفعل خب - إدهان : الإدهان والمداهنة : المصادفة واللين وقيل المداهنة إظهار خلاف ما يضمم والإدهان الغش والملق والنفاق .  
 ٦- الحَدَادُ : ثياب المآتم الأسود ، والحاد والمحد من النساء التي تترك الزينة والطيب بعد زوجها .

وبعد أن وصف الشاعر بحسه المرهف وذوقه الرفيع جانباً من الطبيعة بما فيه من مظاهر الجمال من أزهار وأطيوار وأشجار ذات أفنان وعيدان وشمس مضيئة وآفاق صافية ، وطيور تشدو بأعذب الألحان والترانيم . بعد هذه الصورة الرائعة المتناسقة ، أخذ الشاعر في وصف الزهور والورود بأنواعها وألوانها ورائحتها ، مما يدل على رقة مشاعره ودقة ملاحظته ورفاهة إحساسه وحبه للجمال وللطبيعة ، فالقرنفل قد اكتسى من الحلل أنواعاً مزركشة الألوان ، والبنفسج قد لبس أثواباً تفوح مسكاً وعطراً ، وهو في لونه الهادي يشبه راهباً انقطع للعبادة في تبتل وخشوع ، وزهر الليمون الذي يخلب الأنظار ويسكرها .

وإذا كان النهار قد جمع هذه المظاهر الخلابة والفواحة بالطيب ، فالشاعر لا ينسى الليل بما فيه من مظاهر جمالية ، فالبلابل والشحارير والكروان تغرد بأصواتها العذبة في جنبات الليل ، وقد هجعت الأطيوار الأخرى إلى النوم والراحة ، وفي الصباح تغدو الطيور من وكناتها تسبح في الفضاء فرحة مسرورة ثم يعود الشاعر إلى النهار والنور الذي كان يعشقه ويقول فيه <sup>(١)</sup> :

" أحبه صافياً وأحبه مزيجاً ، وأحبه مجتمعاً وأحبه موزعاً وأحبه مخزوناً  
كما يخزن في الجواهر ، احبه مباحاً كما يباح على الأزاهر . وأحبه في العيون ،  
وأحبه من العيون ، وأحبه إلى العيون .. وألحق أنه لا فضاء حيث يكون النور  
وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين ، ويملاً الروح ، ويصل الأرض بالسماء ."

وهذا يعطينا إشارة إلى أن العقاد كان شفافاً يحب النور حتى أصبح

ظاهرة في تراثه . وهذا ما نلاحظه في قوله :

والصبحُ في حُللِ الأنوارِ طرَّزه

في الشرقِ والغربِ أسحارٌ وأصْلانُ

فالنهار قد تشكل بهذين الوقتين وقت السحر الذي هو بداية النهار ووقت الأصيل الذي يعطي لوناً ذهبياً ، والأرض قد ازينت بهذه الألوان وتلك الحلل فكأنها سابحة في الفردوس تسوقها جماعة من الملائكة في موكب مهيب يوحي بالفرح والسرور للكون كله إلا ذلك المحب الذي أخلص في حبه ، ولم يدنسه بخداع أو مكر أو نفاق ، فلم يعدلّه مكان في عرس الدنيا ، إذ إنه انصرف عنها بشواغله وحبه ، فلم يعد همه تلك المناظر وهذه المباهج بقدر ما يهيم بحبه وتباريحه . وهذه إشارة إلى ما في نفس الشاعر من حب وهوى شغله عن مظاهر الجمال في الطبيعة، ولم يعدله بها اهتمام فهو في شغل شاغل بهذا الحب .

وبهذا نرى الشاعر وقد اتسعت مادة شعره في هذه الأبيات ، إذ استوعبت الحياة بكل ما فيها من مناظر طبيعية تخلق الأنظار وتبتهج لها الأسارير مما يدل على نسيج نفسي موزون تجاه الطبيعة بما فيها ، والتي حركت لديه تلك المشاعر ، وقد شرح الشاعر مدى ارتباطه بالطبيعة وغيرها من مظاهر الكون فيقول (١) :  
" فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتذنيه القريحة واستجاشة الخيال .. كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة موضوع للحياة . وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور ."

١- مقدمة ديوان عابر سبيل ص ٥٤٨ ، منشورات المكتبة العصرية .

ومن هذا المنطلق مضى " العقاد " يلتقط من مرئيات الحياة وبخاصة الطبيعة ومشاهدها ما يحيله صوراً رائعة التشكيل والتنسيق.

مَا لِلطَّبِيعَةِ تَجَلُّو حَفَلَ زِينَتَهَا

حتى لكأثر منها اللَّمَحَ أَلْوَانُ

كأنما مرنت من طُولِ ما صَنَعَتْ

فليس يُخْطِئُهَا فِي الصَّنْعِ إِتْقَانُ

رُحْمَاكَ يَارِبَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ غُلِبُوا

على الْوَقَارِ ، ولِلأَهْوَاءِ شَيْطَانُ

أَقْدُ عَلِمْتَ بِأَنَا لَا قَرَارَ لَنَا

مَعَ الْجَمَالِ ، وَأَنْ الصَّبْرَ وَهْنَانُ<sup>(١)</sup>

فَمَا لَنَا كَلِمَا دَارَتْ نَوَاطِرُنَا

مُدَّتْ إِلَيْهِنَ أَوْهَاقٌ وَأَشْطَانُ<sup>(٢)</sup>

مَنْ كُلِّ الْأَقْبِهِ بِالْحُسْنِ طَلَعَتْهُ

مُسْتَمْلِحَ التِّيهِ ، يَعْطُو وَهُوَ خَجَلَانُ<sup>(٣)</sup>

تَنْصَاحُ طَرْتِهِ عَنِ صُبْحِ غَرْتِهِ

فَيَفْضَحُ الصُّبْحَ وَجَةً مِنْهُ ضَحْيَانُ<sup>(٤)</sup>

١- وهنان : الوهن الضعف في العمل والأمر ، ويقال رجل واهن وامرأة وهنائة.

٢- أوهاق : الوهق الحبل تشد به الإبل والخيل لنلا تند - أشطان - الشطن : الحبل الطويل الشديد الفتل يستقي به وتشد به الخيل .

٣- الأاقة : متألفة ، والألق والألاق الأولق : الجنون ، وألق البرق يألُق ألقاً وتألُق وانتلُق يأتلُق انتلاقاً : لمع وأضاء وبرق ألاق : لا مطر فيه . والمعنى على ذلك إما أن يكون من مجونة بالحب أو من كل براءة بالحب أو مضبنة والثاني أرجح - يعطو : يتناول إلى الشيء ليتناوله ، والمعنى هنا : يمد يديه كي يراه المحبوب - طلعتة : رؤيته ، يقال حيا الله طلعتك ، وطلعة الرجل شخصه وما طلع منه - التيه : الصنف والكبر ، وقد تاه بته تيهياً : تكبر ويريد هنا الاعتزاز بالنفس والتدلل بالجمال.

٤- تنصاح : انصاح : استنار وانصاح الفجر انصباحاً إذا استنار وأضاء واتجلى - طر : الطراة الهيئة الحسنة والجمال.

إذا النَّهَارُ تجلَى من أسرته

صحت قلوب تحييه وأجفان<sup>(١)</sup>

ترنح اللين في عطفيه وأنسقت

فيه الحلي ، فهو للأبصار ميدان<sup>(٢)</sup>

ويستهل بروض من ملاحظته

كما استهل بروض الزهر نيسان

بالغصن شبهه من ليس يعرفه

وإنما هو للرائين بستان

وهل نماقط في غصن على شجر

أس وورد ونسرير وسوسان<sup>(٣)</sup>

بعد أن وصف الشاعر بعض ملامح الجمال في الطبيعة في صورة مفصلة ، اعتمد فيها على الألوان المتناسقة بين الزهور والورود ، والتناغم بين الأطيوار ، ووصف الليل بما فيه من مظاهر الحياة والنهار بأنواره ، فكأنه أحس بعد ذلك أنه لن يستطيع حصر كل ما في الطبيعة من مظاهر جمالية أخذ يصفها وصفاً مجملاً متسائلاً ما الذي دعا الطبيعة إلى إظهار هذا الجمال وتلك الزينة والتي أصبحت في حكم العادة الثابتة التي لا تخفي مكانها ، لكن الشاعر بعد ذلك التساؤل يدرك أن وراء هذه الزينة المغرية وهذا الجمال الصارخ صانع متقن هو الله سبحانه وتعالى ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فلا يملك الإنسان تجاه هذا الصنع

١- أسرته : الأسر : القوة والحبس - والمعنى أنه كما تصحو العيون لمطلع النهار كذلك تنتبه القلوب لمطلع وجهه .

٢- ترنح : تمايل من السكر وغيره والمعنى هنا اهتز ومال - عطفيه : العطف : المنكب عطفيه شقاه من لدن رأسه إلى وركه والجمع أعطاف .

٣- السوسن : نبت أعجمي معرب ، وهو معروف وأجناسه كثيرة . وأطيبه الأبيض . أس : الأسية البناء المحكم .

البديع المحكم الذي يلف جذبات الكون كله ، ويشد الأنظار ويحرك المشاعر والأحاسيس إلا أن يرجع الأمر لله خالق الكون ومبدعه ، ذلك لأن بعض النفوس ليست لديها قدرة على الصبر تجاه الجمال فيكون إغراءً وفتنة لها ، ولم لا وكل ما تقع عليه الأنظار يوحى بالجمال ويأسر اللب ويثير المشاعر.

ولعل الشاعر يقصد بالصنعة المحكمة هنا محبوبته تلك التي أجمعت فيها كل مظاهر الجمال والبهاء حتى لكأنها أصبحت الطبيعة نفسها بكل ما فيها من مظاهر الفتنة والإغراء ولفت الأنظار وتحريك المشاعر والأحاسيس وهذا ما نلمحه في قوله :

فَمَا لَنَا كَلِمَا دَارَتْ نَوَاطِرُنَا  
مُدَّتْ إِلَيْهِنَّ أَوْهَاقٌ وَأَشْطَانُ  
مَنْ كُلِّ الْأَقْفِ بِالْحُسْنِ طَلَعَتْهُ  
مُسْتَمْلِحُ النَّيِّهِ ، يَعْطُو وَهُوَ خَجَلَانُ

فمحبوبته هذه تلمع وتتلاألأ جمالاً وحسناً يبهر العيون ويسكرها ، ومن دلائل هذا الجمال أدبها وحياءها ؛ فهي تمتد جيدها في حياءٍ وخجل لتنظر إليه ، كما أنها تتمتع بطلعة نورانية ووجه منير تصحوله القلوب وتتحرك المشاعر والأحاسيس كما تصحو العيون لمطلع النهار.

وبجانب ذلك فإنها تتمتع بقوام وقدٍ يختال ليناً ورقة كالغصن تهفوبه الريح يمينة ويسرة من طراوته ولينه .

كما يزيد من جمالها وبهائها تلك الحلى التي اتسقت عليها ، فصارت محطاً للأنظار وميداناً يجتمع حوله محبو الجمال والبهاء .

ويتجاوب الشاعر مع نفسه الحاملة المحبة للجمال الطبيعي الذي لا تكلف فيه ولا تصنع ، فيراها وقد جملت في عينيه ، حتى صارت بستاناً يتألق بالأزهار النضرة ، والورود المعطرة والثمار المتنوعة والمناظر الخلافة التي تلفت الأنظار وتهفو إليها القلوب ، وليس غصناً كما يراه غيره.

ونلاحظ من هذا كله أن الشاعر قد جمع لمحبوبته جمال الروح بحيائها وأدبها ، وجمال المظهر بوجهها الصبوح وقدها الجميل الرائع .

ولعل السر في لجوء الشاعر إلى الطبيعة يصف بها محبوبته أن الطبيعة مجبولة على هذا الجمال الرباني الذي لا تكلف فيه ولا تصنع ، والشاعر ولع بهذا الجمال الطبيعي ؛ لذا فقد خلج على محبوبته من هذا الجمال بل إنه أختار أجمل ما في الطبيعة وهو البستان بنضرتة وخضرتة وشاره وحيويته ، ليجتمع لها صفات الحسن والكمال والحيوية والرشاقة .

هذا بالإضافة إلى أن " العقاد " كان يعتبر جمال المرأة أسمى مراتب الجمال ؛ لذا فقد استلهم من الطبيعة أجمل ما فيها وخلعها على محبوبته ، وقد جاءت كل هذه المعاني في أسلوب قوي رصين .

يَا مَنْ يِرَانِي غَرِيْقًا فِي مَحَبَّتِهِ

وَجِدًّا ، وَيَسْأَلْنِي هَلْ أَنْتَ غَصَّانُ<sup>(١)</sup>

وَاضْبِعَةَ الْحَبِّ أَبْدِيهِ وَأَكْتَمَهُ

وَمِنْ عُنَيْتْ بِهِ عَن دَاكَّ غَفْلَانُ

لِي فِي مَدِيْحِكَ أَشْعَارٌ أَضُنُّ بِهَا

عَلَى امْرِيءٍ فَخْرُهُ عَرَشٌ وَإِيْوَانُ<sup>(٢)</sup>

١- الوجد : شدة الحب ، غسان : الغصص بالماء إذا شرقت به أو وقف في الحلق ولم يكذب يساغ ، ورجل غسان : غاص .

٢- أضن بها : أبخل بها .

على محيائك من وشى الصبا روع  
وللمُحِبِّينَ أَحْدَاقٌ وَأَعْيَانُ<sup>(١)</sup>  
فَقِيمَ تَعْدَلُهُمْ إِنْ رَاحَ نَاطِرُهُمْ  
بِحُسْنِ وَجْهِكَ يَهْذِي وَهُوَ وَلَهُانُ<sup>(٢)</sup>  
مَا الْحُسْنُ ذَنْباً ، فَمَا لِلْحَبِّ تَحْسِبُهُ  
ذَنْباً مِنَ النَّاسِ لَا يَمْحُوهُ عُفْرَانُ .  
هُمَا شَقِيقَانِ فَارْفُقْ أَنْ تَحِيلَهُمَا  
ضِدَّيْنِ بَيْنَهُمَا نَأْيٌ وَهَجْرَانُ  
مَنْ عِلْمَ النَّاسِ أَنَّ الْحَبَّ مَأْتَمَةٌ  
حَتَّى كَأَنَّ لَيْسَ غَيْرَ الْبُغْضِ إِحْسَانُ  
هَبْهَا جِنَايَةَ جَانِ أَنْتِ آثِمُهَا  
مَا كَانَ يُعْصَمُ لَا إِنْسٌ وَلَا جَانُ  
إِنَّ الْجِسْمَ مِثْلَ مِثْلِ جَوَارِحِهَا  
إِلَّا الْقُلُوبَ فَصَيِغَتْ وَهِيَ أَحْدَانُ  
لِكُلِّ قَلْبٍ قَرِينٌ يُسْتَتَمُّ بِهِ  
خَلَقَ وَخَلَقَ فَهَلْ يُرْضِيكَ نَقْصَانُ  
إِنَّ التَّعَاطُفَ بِالْأَرْوَاحِ بُعِثْنَا  
وَفِي الْوُجُوهِ عَلَى الْأَرْوَاحِ عُنْوَانُ

١- روع : صباحة وجمال - أحداق : الحدقة السوداء المستدير وسط العين ويجمع على حدق وأحداق - أعيان : عيون .  
٢- تعدلهم : العذل اللوم ، والعوادل من النساء جمع عاذلة أي لائمة .

تمثالك الصخر أخطى منك إن تفرت

عتك العيون ، ولم يشمك وجدان

ولما كانت هذه صفات محبوبته المعنوية والحسية ، فقد أراد الشاعر أن يظهر ولعه بها ومعاناته من حبه لها ، ذلك الحب الذي اشتد به وأضناه وتحير به ، فمرة يبديه ويظهره وأخرى يخفيه ويكتمه أملاً في إرضاء أو رضا محبوبته لكنه لا يلقي منها إلا الصد والهجران والتغافل ؛ على الرغم من كثرة مدحه لها بأشعاره التي هي خلاصة فكره ونبض مشاعره وأحاسيسه .

ثم يتساءل الشاعر إذا كان هذا هو جمال محبوبته فلم اللوم على حبه لها مع أن الحب ليس ذنباً كما يتصوره كثير من الناس ؟ كما أن الحب قرين الحسن والجمال بل هما شقيقان لا ينفصلان بل بينهما تلازم وترابط ، وأنه لا يعصم إنس ولا جان من الوقوع في شرك حب الجمال وبخاصة المرأة الجميلة ، ولا ينكر ذلك إلا من تحجرت قلوبهم وتبلدت أحاسيسهم ومشاعرهم، فتصوروا أن الشقاق والهجر هما الحب والإحسان .

وبأسلوب تغلب عليه الترفة الفكرية بين الشاعر أن الحب لو كان جناية - كما يزعم الناس - فإنها جناية لا يتبرأ منها أحد ، وليس في مقدورهم أن يتخلصوا منها إذا ما التاطت بقلوبهم وعلقت بأرواحهم ، ويعلل ذلك بأن جوارح الإنسان مثناة إلا القلوب ، فقد خلقها الله وصاغها في الجسوم واحدة، وكى تكون مثناة مثل بقية الجوارح فإنها تحتاج إلى قرين يكملها من الجسوم الأخرى كي يكون بينهما التعاطف الروحي .

ونلمح من هذا أن " العقاد " كان ولعاً بالجمال ، وجمال المرأة بالذات فقاده ولعه بالجمال هذا إلى الحب فراح يبحث عنه في كل امرأة جميلة تصادفه

ومن ثم خلت حياة " العقاد " العريضة من المرأة حسبما يتفق وشريعة الحب لا حسبما يتفق والتقاليد المتوارثة عن الدين والتي أعتنقها الآباء والأجداد ، وتلك التقاليد هي الزواج ، لكنه على الرغم من ذلك فقد استمتع بالمرأة وتآلم ولذت له الحياة معها وتنعصت ، فمحتته المرأة خير ما تعطيه لرجل وسامته شرما تسومه لرجل كذلك ؛ وقد ظهر ذلك في شعره الذي عبر فيه عن سعادته بالمرأة وحبها لها وولعه بجمالها حين تعاطيه الحب، وكذلك يظهر في شعره الذي ذرف فيه دموعه بسبب ما صنعت به المرأة حين يخبو الحب وتنطفيء شعلته (١) ويستمر الشاعر في وصف ما يعتمل في صدره وقلبه من حب للجمال الذي يعد حبا لكل شيء. فيقول :

إنا لمن معشر حبّ أجمالٍ لهم  
 حب لما كان في الدنيا ومن كانوا  
 ليأمن الطير أننا لا نكيد له  
 ولا يخف مكرنا وحش وعقبان (٢)  
 لو تسمع الورق نجوانا لكان لها  
 مئا غصون نصيرات وأحضان (٣)  
 أو كان يذري حيى الثبت عفتنا  
 لم تغض منه بأيدينا أعيصان (٤)

١- أنظر : المرأة في حياة العقاد ، د / عبد الحي دياب ص ١١ ، دار الشعب ١٩٨٦ .

٢- العقبان : العقاب طائر من العقاق ، ويقع على الذكر والأنثى ، وقيل هي عتاق الطير وسباعه التي تصيد .

٣- الورق : الحمام والمفرد ورقاء ، والأورق الذي لونه بين السواد والغبرة - أحضان : يقال حضن الطائر بيضه بحضن حضناً وحضانة أي وجن عليه للتقريب ، ويقال حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحيه وهو المعنى المطلوب في هذا البيت ، والحضن في الإنسان هو الصدر والعضدان وما بينهما وفي الطير الصدر والجناحان.

٤- حيي : يقال رجل حيي ذو حياء بوزن فاعيل ، وامرأة حيبية .

أَوْ يَنْظُرُ السَّائِمُ النَّابِي طَوَيْتَا

لم تالف القفر آرامٍ وِغِزْلَانُ<sup>(١)</sup>

ولا اتقى الحوتُ شراً حينَ يُبصرنا

إذا وقتهُ شباكُ الإنسِ قيعانُ<sup>(٢)</sup>

يا ليتَ أنَ لنا كَهْفاً تَعُودُ بِهِ

إنَ راحَ يُفزعها بَغىً وعدوانُ

ما ضرَّ قانصها أنَ لا يكونَ لها

غيرُ الفلا وحجارُ الأفقِ قُضبانُ

أينَ الحمائمُ تَشُدُّو في أرائكها

مِنَ الحمائمِ يشويهنَ مَبْطَانُ

أو الطيورُ على السفودِ ناضجةً

مِنَ الطيورِ تهادهنَ أفنانُ<sup>(٣)</sup>

لو أطلقوها كما شاءتَ لكانَ لهم

منها قيانُ كما شاؤا وندمانُ<sup>(٤)</sup>

يفصح الشاعر عن انشغاله بحبوبيته التي تتمتع بذلك الجمال الآخاذ، الذي

لا يعرف معناه ولا حقيقته إلا النفوس المخلصة، التي ترى أن حب الجمال إنما

١- السائم : الذاهب على وجهه حيث شاء والجمع سوائم ومنه سامت الإبل والماشية أي رعت . النابي : الثور الذي ينبأ من أرض إلى أرض أي يخرج . آرام : الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في المغارة يهتدي بها ، واحدها إرم - الفقير - الفقرة : الخلاء من الأرض وجمعه قفار وقفور ، وقيل القفر مغارة لا نبات بها ولا ماء .

٢- قيعان : جمع قاع وقاعة رفيع : وهي أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة لا ارتفاع فيها ولا انهباط ، وما حواليتها أرفع منها وهو مصب المياه أو هي الأرض التي تنفرج عنها الجبال والأكام .

٣- السفود : الحديدية التي يشوى عليها ، والجمع سفاويد .

٤- ندمان : نادم الرجل منادمة ونداها : جالسة على الشراب والنديم : المنادم والجمع ندماء وندمان . والمعنى أن الناس لو تركوا الطيور لحالها لكان لهم منها أصحاب وخلان.

هو حب كل شيء ، وأنه مصدر سعادة لمن ينشدها في كل أحواله ، مع محبوبته مع الطيور مع الأشجار والوحوش والحيتان في المياه .

كما أنه أي الحب وسيلة تطهر النفوس ، وتعمل على صفائها ونقائها، وتؤدي إلى معرفة الواجب والقيام به ، ولعل هذا هو منزع الرومانتيكيين في حبهم الذي كانوا ينظرون من خلاله إلى المرأة ، على أنها ملك هبط من السماء ؛ ليظهر قلوبنا بالحب ويرقي بعواطفنا ويذكي شعورنا، ويشجعنا على النهوض بأعباء واجباتنا الخلقية والسياسة والوطنية<sup>(١)</sup>، وأن الكون إذا خلا من الحب انطفأت الشمس ، وأن الله هو المركز الذي تنجذب إليه أصول الأشياء كلها ، وإلى صفة واحدة من صفاته يرجع الخلق والتقدير والأحياء والغرس والوجود والعدم تلك الصفة هي الحب .

وأخيراً فإن الحب مأمون العاقبة في تكوين الفضائل وفي تفتح المواهب ونضج العبقرية<sup>(٢)</sup>.

وبناء على هذه النظرة وتلك الفكرة نحو الجمال ، فقد تمثل " العقاد " لقاء محبوبته ، بين الطيور والحمائم والنباتات ، بأزاهيرها التي تتجاوب مع هذا اللقاء، بين الشاعر ومحبوبته وتشهد كلها على عفة وطهارة هذا الحب ، وكذلك بين الحيتان وقد تظلمت بهذا الحب الذي اصطبغت به كل عناصر الطبيعة .

ثم يُلقي الشاعر نظرة نحو هذين القلبين ، ( قلبه الذي يحترق شوقاً ومحبة كما تشوي الحمائم والطيور على السفود ، وقلب محبوبته الذي يتدله فرحاً مسروراً كالطيور تتهادي بها الأعصان ) ، ويرى أن ذلك من مفارقات القدرة

١- أنظر الرومانتيكية ، د/ محمد غنيمي هلال ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، نهضة مصر بالفجالة .

٢- أنظر الرومانتيكية ص ١٤٥ .

الخالقة في الحب ، تلك المفارقة التي تهزأ بالظواهر والأشكال ، وتلعب بالأحاسيس والمشاعر ، ويلتفت الشاعر إلى أثر هذه المفارقة فيرى أن هذه المشاعر التي تكمن في غيابة قلبه ومجاهل نفسه وتحترق منها أضلاعه تحتاج إلى قرين يشعر بها ، ويتجاوب معها .

ولا يزال الشاعر يصف محبوبته ويبرهن على سبب تعلقه وشغفه بها فيقول:

هَلْ يَعْرِفُ الْبَيْضُ أَنَّ الْحَسْنَ جَوْهَرَةٌ

لَهَا النَّرَاءُ ، نَرَاءُ النَّفْسِ ، أَثْمَانُ

يَقْتَنُو نَفَائِسَهُ مَنْ لَا يَسُومُهُ

وقد يعز على اللال قنيان<sup>(١)</sup>

يا جوهراً بث أرعاه على أمم

رعى الشخج ، ومالي فيه سلطان<sup>(٢)</sup>

ما في يدى منه لا عين ولا أثر

ولي عليه مغاليق وأعيان<sup>(٣)</sup>

قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً

وقد تولى ، فحظى منه فقدان

إني إلى الرعى من عينيك مفتقر

يا ضوء قلبي ، فإن القلب مدخان<sup>(٤)</sup>

من لي بمهدك ترعاني لواظظه

١- يقنو : قنن الشيء قنواً وقنواً واقتنيتَه : كسبته . قنيان : ما يتخذ قنية أي مكسب . يسومه : يرعاه .

٢- أمم : الأمم القرب ، يقال أخذت ذلم من أمم أي من قرب وأرعاه على أمم أي على قرب .

٣- العين : جمع عيناء ، وهي الواسعة العين - أعيان : جواسيس

٤- مدجان : الدجن ظلم الغيم في اليوم المطير ، والدجن إلباس الغيم الأرض : أدجن يومنا إذا أصب فأظلم.

وَرُبُّ مُسْتَقِيظٍ يَرَعَاهُ نَعْسَانُ  
 لَوْ أَسَا تَطِيْعُ لَوْفَاهُ وَظَلَّاهُ  
 قَلْبٌ تَنَامُ الدَّرَارِي ، وَهُوَ جَوْلَانُ<sup>(١)</sup>  
 أَبْيْتُ أَزْجِي إِلَيْهِ كُلُّ ضَاكِكَةٍ  
 مِنَ الْأَمَاتِي يُوْحِيهِنَ فَتَّانُ  
 أَزْجِي عِرَاسٍ أَحْلَامُ تَيْمَمَهُ  
 فِي زَبْرَجٍ بِالْحَيَاءِ الْغَضِّ يَزْدَانُ<sup>(٢)</sup>  
 تَمْضِي بِهِ بَيْنَ جَنَاتٍ مَزْخَرَفَةٍ  
 فِيهِنَّ حُورٌ وَأَمْلَاكٌ وَوَلْدَانُ  
 وَسَاجِعَاتٌ تَتَاغِيهِ عَلَى كَنْبٍ  
 حَتَّى يُنْبَهُهُ مِنْهِنَّ إِرْنَانُ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا تَنَقَّلَ أَوْ أَسْرَى فَمَهْبِطُهُ  
 مِنْ خَالِصِ الْعَسْجِدِ الْوَهَّاجِ أَفْدَانُ<sup>(٤)</sup>  
 مَسْتَمْرِيٌّ طَيِّبٌ مَجْنَاهَا وَبَهْجَتِهَا  
 قَلْبٌ غَرِيرٌ وَأَحْظٌ مِنْهُ سَكْرَانُ<sup>(٥)</sup>

وَيَا تَ لِلْقَلْبِ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ إِلَى

- ١- الدراري : الكواكب اللامعة والمفرد درى - جولان - متحرك مضطرب .
- ٢- تيممه : يقال تيمم الشيء قصده ، ويممته : قصدته . زبرج : الزينة والوشى .
- ٣- ساجعات : يقال سجع الحمام يسجع سجعاً : هدل على جهة واحدة ، وجع الحمام موالاة أصواتها على طريق واحد - إرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء أو صوت الحمام : يقال أرنت الحمام في سجعها .
- ٤- العسجد : الذهب ، وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت - أفدان : قصور مشيدة .
- ٥- الغرير : المخدوع . من غرر يغره غراً وغروراً أي خدعه وأطعمه بالباطل .

دَبِيبِ أَحْلَامِهِ صَغُو وَإِرْغَانُ<sup>(١)</sup>

حَسْبِي السَّهَادُ إِذَا مَا بَتَّ أَذْكَرُهُ

وِظْرَفُهُ الْأَكْحَلُ الْوَسْنَانُ وَسْنَانُ<sup>(٢)</sup>

إِنِّي لِأَغْنُمُ وَصَلًا فِي تَمْنَعِهِ

وَعَطْفِهِ ، وَكَلَا الْوَصْلَيْنِ مِفْتَاحُ

يحاول الشاعر أن يبرهن على ما في نفسه من حب وشوق لمحبوته ، فهي ليست من أعمار من يلقي من النساء وليست من لون ما للنساء من قامات وأشكال ؛ إذ تمتاز بجمال يخالف جمالهن فهي جوهرة ؛ لما تحمله بين جنباتها من نفس أبية تعز على كثير من الناس ممن يتمتعون بالجمال الحسي الظاهر .

ونلاحظ من هذا أن الشاعر لا يتغزل بالجمال الحسي للمرأة ، أو التعلق بمفاتنها وإظهارها ، وهذا بخلاف " ابن الرومي " الذي تعلق بالجمال الحسي الظاهر ، فراح يصف المرأة وصفاً حسياً دقيقاً . لعل ذلك يحد من ثورته نحو شهوة الحس والمتعة ، لكن " العقاد " يرى محبوبته وقد تجملت بهذه النفس الغنية بالعزة والكرامة . فهي في مجملها جوهرة مكنونة ، جعل من نفسه رقيباً عليها ، وهو لا يملك منها شيئاً . بل إنه من شدة غيخته عليها يجعل عليها عيوناً ورقباء يحرسونها من نظرات الآخرين .

ويؤكد الشاعر على أن محبوبته صعبة المنال ، وما ناله من وصل إنما كان عرضاً قليلاً ، دون سابق موعد مما يشعره بفقدتها الذي هو كل حظه منها .

١- صغو : صغا إليه يصغى ويصغو صغواً وصغواً : مال ، وأصغي إليه رأساً : أماله . إرغان : الإصغاء إلى القول وقبوله .

٢- وسنان : يقال امرأة وسنى ووسنانه : فاترة الطرف شبهت بالمرأة الوسنى من النوم وسنان الثانية : أي الذي أخذته سنة من النوم .

لذا نراه يتطلع إلى نظرة من عينيها ؛ لتضيء قلبه الذي أظلم وأضرب  
بغيبابها عنه ، وتدللها عليه ، الأمر الذي جعله لا يغفل ولا ينام ، فقد أفلت النجوم  
والكواكب ، وهو يقظ يتمنى لقاءها ؛ ليسكن من روعة قلبه المضطرب ، ويطفئ  
من ثورة نفسه المتشوقة إلى هذا اللقاء ، ونلمح هذا الإحساس من قوله :

لو أسأتُ طبعُ لوقاه وظلأه

قلبٌ تنام الدرارى ، وهو جَوْلانُ

لكن الشاعر لا يملك تجاه هذا التشوق إلا أن يهدي محبوبته تلك الأحلام  
والأماني التي هي من وحي جمالها ، في صورة تبرهن على طهارة نفسه وعفتها ،  
فهي أي الأحلام تتسم بالحياء والطهارة فهي على صورة الحور العين والملائكة  
والولدان المخلدين ، فهو لا يريد أن يفزعها في مهدها ويريد أن تستيقظ على شدة  
الحمام وغناء الطيور .

وهذه صورة تتناسب مع ما عليه محبوبته ، من النعيم والعيش الرغد الذي  
تتقلب فيه ليلاً ونهاراً .

ولما أحس الشاعر باليأس من لقاءها والوصول إليها جعل من قلبه - في  
جنح الظلام - رقيباً على أحلامها لعله يحظى بسماع تلك الأحلام ، ولما كان هذا  
صعباً إدراكه فقد رجح الشاعر إلى نفسه وما أصابها ، فأيقن أنه لا يملك إلا أن  
يعيش على ذكراها ويكتفي بالسهر والتفكير في جمال عينيها ، ولم لا وقد رأى في  
تمنعها وصلا وقرباً وفي لقاءها وعطفها فتنة ومتمعة أو كلا الوصلين مفتان .

وهكذا نرى أن الشاعر قد أحب محبوبته في قربها ووصلها ، كما أحبها في  
بعدها ونأيها وتدللها ، مما يدل على صدق شعوره وإخلاصه في حبه لها .

كما نلاحظ أنه حب تسامت فيه النفس عن غريزة الشهوة والحس ، بل  
يكفيه أن يبیت ليلة مفكراً في جمالها وحسنها دون أن ينعم بلقياها ، مهما كلفه  
ذلك من شقاء .

ومن هذا نرى أن " العقاد " قد استطاع أن يعبر عن رأيه في الحب والمرأة ،  
فرأى أن الحب لكثرة عناصره أقرب إلى الشقاء منه إلى السعادة لأنه عرضة  
لافتراق الهوى في النفس الواحدة حين تتناقض الرغبة والكرامة أو تتناقض  
أسباب الألفة وأسباب النفور ، وعرضة لافتراق الهوى بين نفسين اثنين لا تزول  
الحواجز بينهما كل الزوال وإن أفرط في المودة والوفاء <sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فلا بد للإنسان من خوض تجربة حب ؛ ليعرف نفسه ؛ إذ إن  
الإنسان لا يجد نفسه في شيء كما يجدها في الحب . وأنه لا يعرف ما فيها من  
قوة وضعف ، ومن عطف وجمود ، ومن رحمة وقسوة ، ومن خفايا وظواهر ومن  
فجيرة وضحك ، ومن حكمة وحماسة .. من إنسانية وحيوانية إلا من خلال الحب  
الذي هو ومعرفة النفس صنوان <sup>(٢)</sup>

لذا فقد رأيناه وقد أضناه الحب ، وأصابه السهاد والقلق ، مع علمه أن المرأة  
التي استحوذت على قلبه هي من أكبر حبال الحياة ، ومن تعلق منها بسبب فقد  
تعلق من الحياة بأسباب ، وخاض من الدنيا في أعماق الغمرات ، ولا يرفض المرأة  
والحب إلا من يرفض الحياة <sup>(٣)</sup>

١- أنظر هذه الشجرة عباس محمود العقاد ص ١٨٥ .

٢- أنظر ، يسألونك - العقاد ص ٤٨ .

٣- أنظر ، مطالعات في الكتب والحياة - العقاد ص ١٤١ .

وإذا كانت هذه نظرات " العقاد " ورأيه في الحب ، فلا غرابة أن نسمع منه تلك النغمات العذبة الساحرة التي أباح فيها بمكنون نفسه ، ورأى الغنم في تمنع المحبوبة ووصلها على السواء .

ويستمر العقاد في التعبير عن تجربته من خلال دفقات شعورية فياضه فيقول :

ما ضرَّ من نالٍ في حينِ سَعادته  
 إن فاتهُ في طویلِ الدَّهرِ أحيان  
 إذا جنيتِ مِنَ الأيامِ زَهْرَتَها  
 فَأفْنَعُ فَسائِرَها شَوْكٌ وَعِیدانُ<sup>(١)</sup>  
 ولا وَرِیکَ ما بالنَّفْسِ مقتنعٌ  
 أکانَ نجحٌ لها أمْ کَانَ جِرمَانُ<sup>(٢)</sup>  
 فإن رَوینا ، فبعضُ الرِّی مَظمأة  
 وأن ظَمِئنا ، فما يرثاُحُ ظمَانُ  
 أيُّ الفَریقینِ أحمى لَهفَةً ووجی؟  
 من ذاقَ أو لَمْ یذُقْ ، فالکلُّ لَهفَانُ<sup>(٣)</sup>  
 یا لیلَةَ حُطمت أنوالُ حائِکَها  
 فلا یُحاكُ لها في الدَّهرِ ثَئیانُ<sup>(٤)</sup>  
 العیشُ مِن قَبْلِها شَوْقٌ نَعمتُ بِهِ

١- عيدان : كل ما جرى فيه الماء من الشجر .

٢- نجح : النجاح والنجاح : الظفر بالشيء والفوز به .

٣- أحمى : حمى النهار ، وحمى التنور حمياً أي أشد حره وحمى الفرس حمى : سخن وعرق . والمعنى : أي أشد لهفة . وجي : الوجي التعب والخفي والقنور ، ووجي : لتوعن المشي .

٤- ثنيان : الثنى من الرجال بعد السبد وهو الثنيان ، والثنيان بالضم الذي يكون دون السبد في المرتبة . ويقال للذي يجيء ثانياً في السؤود ثنيان وثنى . والمعنى أن هذه الليلة ليس لها نظير في الجمال والبهاء ، حاك : أصله حوك يحوكه حوكاً وحياكاً وحياكاً : نسجه ورجل حانك أي ناسج .

والعيش من بَعْدِهَا ذَكَرٌ وَتَحْنَانُ  
 طالَتْ وَلَا غَرَوَ فَالْجَنَّاتُ خالِدَةٌ  
 وفي الوِصَالِ مِنَ الْجَنَّاتِ أَلْوَانُ  
 أَصَابِحَتْ وَاللَّهِ لَا أُدْرِي بِهَجْتِهَا  
 أَلَيْلَةٌ سَأَفْتُ أَمْ تِلْكَ أَرْمَانُ  
 وَكَيْفَ لَا وَهِيَ شَطْرٌ حِينَ أَحْسَبُهَا  
 وَالْعَمْرُ شَطْرٌ ، وفيها عَنْهُ رُجْحَانُ<sup>(١)</sup>  
 لَقَدْ سَقَانَا الْهُوَى حَمْرًا مَعْتَقَةً  
 صَابِهَا قَبْلَنَا شَيْبٌ وَشُبَانُ<sup>(٢)</sup>  
 هِيَهَاتَ لَا تَبْلُغُ الصَّهْبَاءُ نَشْوَتَهَا  
 وَلَوْ تَتَاوَلَ مِنْهَا الْبَحْرَ نَشْوَانُ<sup>(٣)</sup>  
 فَاضَ الْهَيْامُ عَلَيَّ قَفَاضَ بِهِ  
 نَبَعٌ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ شَطَانُ<sup>(٤)</sup>  
 وَدَدْتُ وَالِدَمْعِ فِي عَيْنِيَّ مُحْتَجِرٌ  
 لَوْ سَأَلَ مِنْهُ عَلَيَّ خَدِي غَدْرَانُ<sup>(٥)</sup>

أَمْسِيْتُ أَرَشَفُ شَهْدًا مِنْ مَرَأَشِفِهِ

- ١- رجحان : رجح الشيء يرجع وجوحاً ورجحاناً ( بالضم والفتح ) مال وتقل والمعنى أن هذه الليلة تزيد عن شطر عمر الشاعر .  
 ٢- معتقة : أي التي حبست زماناً في ظرفها حتى عتقت أي قدمت - صبا يصبو صبوة وصبوا أي مال إلى الجهل والفتوة ، والمعنى أن هذه الخمر فتنت الشباب والشيب .  
 ٣- نشوان : يقال نشيء الرجل من الشراب نشواً ونشوة : سكر فهو نشوان أي سكران .  
 ٤- شيطان : شواطيء .  
 ٥- محتجز : أي تحجز الدمع في العيون . غدران : مستنقع ماء المطر .

والسَّسْبِيلُ بَعْلَيْنِ غَيْرَانُ<sup>(١)</sup>

والتَّيْلُ تَجْرَى لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

جَدَاوِلٌ لَوْلُؤِيَّاتٍ وَتُعْبَانُ<sup>(٢)</sup>

يَفُودِنَا حَيْثُ شَاءَ الْمَوْجُ وَاطَّرَدَتْ

أَمْوَاهُهُ ، فَكَأَنَّ الْفُلُوكَ وَسَنَانُ

حَتَّى تَصْرَمَ جَنَحَ اللَّيْلِ وَأَنْبَثَقَتْ

مَنْ كُلُّ مَطْلَعٍ لِلصُّبْحِ عِمْدَانُ<sup>(٣)</sup>

فَمَا أَفْقَتْنَا وَعَيْنُ الصُّبْحِ شَارِقَةٌ

وَمَا هَجَدْنَا وَعُغُولُ اللَّيْلِ سَهْرَانُ<sup>(٤)</sup>

بِنَا سِوَى الشَّمْسِ وَالشُّهْبَانِ نَرَصُدُهَا

شَمُوسٍ أَنْسٍ مُضِيئَاتٍ وَشُهْبَانُ

ما زال الشاعر يسجل بقريحته ويرسم بريشته أصداء نفسه الحالة ، وما يعتمل فيها من حب وشوق ، تجاه محبوبته وما في طبيعتها من جمال روحي فطري ، يُدخل السعادة والنعيم في قلبه ، ولو كانت لحظة من اللحظات أوليلة من الليالي ، وهذه اللحظات كفيلة بأن تجعل المحب قانعاً بما جناه فيها من وصل وقرب ، وبخاصة وأن الحياة لا تسير على نهج واحد من الصفاء ، لكن النفس مجبولة على الطمع وعدم القناعة ، سواء أكان في ذلك فوزها أم هلاكها وحرمانها ،

١- أرشف : رشف الماء والرقيق : مصه . والرشف ماء قليل يبقي في الحوض . والرشوف : المرأة الطيبة الفم .

٢- تُعْبَانُ : الثعب : الغدير يكون في ظل جبل لا تصيبه الشمس ، فيبرد ماؤه والجمع تُعْبَانُ وتُعْبَانُ .

٣- عمدان : عمود الصبح : ما تلبح من ضوءه وهو المستظهر منه ، وسطع عمود الصبح على التشبيه بذلك .

٤- هجد : نام ، والهجد النائم .

ويعيش المحب في كلا الحالتين في لهفة وشوق وتعطش ذاق الحب أم لم يذقه ،  
وهذا ما جعل الشاعر يتساءل قائلاً :

أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحْمَى لَهْفَةً وَوَجَى؟

من ذاقَ أو لم يذُقْ ، فالكلُّ لَهْفَانُ

وعلى الرغم من ذلك فإن سعادة الحب لدى " العقاد " لا تغيب عن نفسه  
وقلبه، فنراه يتحدث عن النعيم وليالي الوصال التي قضاهَا مع صاحبتة ومحبوبته  
فيقول واصفاً تلك الليلة : أنه نعم فيها بالوصل من محبوبته ، وأنه لجمال هذه  
الليلة وما فيها من نعيم يصعب تكرارها ؛ إذ لا نظير لها في الجمال ، فقد حطمت  
أنوال حائكها ، وقد كان العيش قبلها شوقاً ينعم به وخلالها وصلاً ونعيماً ونغماً ،  
وبعدها كان العيش ذكراً لها وتحناناً إليها ، ولم لا تكون بهذه الصورة ، وقد طال  
وطال فيها الوصل والقرب ، ولا عجب في طولها ؛ لأن الجنات خالدة ودائمة وفي  
الوصل والنعيم ألوان من هذه الجنات . بل إنه لطولها وتمتعه فيها بهذه الألوان  
من النعيم لا يدري أي ليلة أم أنها أزمان ، ويبالغ الشاعر في ذلك فيرى أنها  
تساوي شطر عمره بل تزيد عليه وتثقله .

ويستمر الشاعر - بإحساسه المتوقد وعواطفه الجياشة الصادقة في رسم ما  
حدث في هذه الليلة من ألوان النعيم والقرب ، فيرى أنها كانت تشبه الخمر  
المعتقة التي تفتن الشيب والشبان ، لكنها لم تؤثر فيه ولم يغيب عن وعيه ؛ إذ إنه  
يحيا بهذا الحب الذي فاض على قلبه وتمنى لو سال الدمع من عينيه أنهاراً تعبيراً  
عن فرحه وسروره بهذا اللقاء ، الذي نال فيه كل ما يشبع نهمه ويحد من شوقه  
ويبل غلته وظمأه بهذا الرشف العذب ، الذي يشبه السلسبيل في عليين .

وكعادته يختلط بالطبيعة التي طالما لجأ إليها ، ليرسم صورة هذه الليلة فيرى أنه قد أحيط بجداول النيل الرقراقة الصافية تجري هنا وهناك ويحمله الموج حيث يشاء ، وغول قائم على حراسته ، ونور الكواكب والنجوم تضيء جنبات الكون حتى صار الليل وكأنه نهار مضيء .

من الملحوظ هنا أن الشاعر قد جعل الليل ظرفاً للهناء ولقاء المحبوب والاستمتاع بالقرب منه ، فانقشع ظلامه وصار نيراً كأنه نهار ، وقد أطال الشاعر الليل حتى رأى هذه الليلة وكأنها أزمان ، لكنها في النعيم والهناء . وهذا بخلاف بعض الشعراء الذين شكوا من طول الليل وشدة ظلامه ، لما تحملوه من الهموم والأحزان . بل إنهم جعلوا الليل سبباً في تلك الهموم . فهذا " امرؤ القيس " يشكو من طول ليله وما نزل به من أنواع الهموم حتى تمنى زوال هذا الليل ، فيقول :

ألا أيُّها اللَّيْلُ الطويلُ ألا انجلى

بصبح وما إلا صباحُ منك بأمثل

فيا لك من ليلٍ كأن نُجومه

بأمراسِ كتانٍ إلى صُمِّ جندل

ولعل هذا يرجع إلى نفسية الشاعر ومزاجه ، وبخاصة إذا علمنا أن " العقاد " قد رأى النعم في وصل المحبوبة وهجرها على حد سواء . فيعيش ليلة حالماً بها ونهاره ذاكراً لها وهذا لم يتوافر " لإمريء القيس " الذي جعل من ليلة ظرفاً للهم والحزن .

ويستمر الشاعر في وصف هذه الليلة ، فيقول :

سَمِعْتُ أَعَذَبَ مَا يَفْتَرُ عَنْهُ قَمٌّ

من الحديثِ وما سَاعَتُهُ أَذَانُ<sup>(١)</sup>

فصاحَةٌ لَثَمْتُ رُوحِي بِهَا شَفَةً

لو دَأَقَهَا النَّحْلَ لَمْ يَمْرَأَهُ رِيحَانُ<sup>(٢)</sup>

أنفى لرين النهي من كل ما نَقَشْتُ

على الصَّخَائِفِ أَعْرَابٌ وَيُونَانُ<sup>(٣)</sup>

تهتَزُّ بَيْنَ طَوَايِا النَّفْسِ نَبْرُثُهَا

كَمَا يَمُوجُ لَضَوْءِ الشَّمْسِ خَيْطَانُ

ذِرِّ الدَّسَاتِينِ تَحْدُو وَهِيَ ضَارِبَةٌ

من ليسَ تحدوه أشواقٌ وأحزانُ<sup>(٤)</sup>

وأطربُ لصوتِ تَعَالَى أَنْ يُحَاكِيهِ

حَاكٍ ، وَتُعْرَبَ عَنْ فَحْوَاهِ أَفْنَانُ

ما أَنشَدَ النَّاسُ إِلَّا كِي تُذَكِّرُهُمْ

صوتَ الحبيبِ أَناشيدٌ وَأَلْحَانُ

ولا تَعْلَمَ وَزْنَ القَوْلِ شَاعِرُهُمْ

إِلَّا وَكَانَ لَهُ بِالنَّبْضِ مِيزَانُ

١- يفتَرُ : فتر الماء : سكن حره ، وفتَر السحاب أي قطر وفرغ ماؤه ، والمعنى أنه سمع كلاماً عذياً رقيقاً - ساغ : ساغ : ساغ  
الشراب في الحلق يسوغ سوغاً وسواغاً : سهل مدخله في الحلق ، وشراب سائغ وأسوغ : عذب .  
٢- لثم : اللثام : لثمت : إذا أراد التقبيل ، ولثمت فإها إذا قبلتها ، واللثام ما كان على الفم من النقاب - مرأ : يقال مرأ  
الطعام : صار مرثياً ، ويقال مريء لي هذا الطعام مراة أي استمرأته .  
٣- النهي : العقل . انفى : اشد نفياً وإبعاداً .  
٤- الدساتين : جمع دستان وهو الوتر . والمعنى ان المعازف بأوتارها إنما تستحث إلى الشوق من لا شوق عنده ، وأما  
من هو مفعم بالشوق فلا حاجة به إليها

ما زلنا مع الشاعر وهو يصف لنا - بإحساسه المرفف ونفسه المفعمة بالحب والشوق - هذه الليلة التي نعم فيها يوصل محبوبته ، فلم يدع جانباً من هذه الليلة إلا وصفه وصفاً ينم عن حب يلف كيانه ، ويجعله في حالة من الهيام والوجد . فاستمتع بفصاحتها وحديثها الحلو المعسول الذي سرى إلى الأذن سهلاً مستساغاً ، وذاقت روحه طعم حلاوته التي لو ذاقها النحل ما استمرراً الريحان .

ولما كانت هذه هي مشاعره الفيضة بالحب والشوق ، أراد أن يبين أن هذه المشاعر نابغة من قلبه وعقله ، وليس عليهما عتامة أو غمامة أو جهالة؛ كي لا يظن أحد أن الشاعر لا يعي ما يقول ، أو أن ذلك مجرد حُلم ، لكنها الحقيقة والإحساس الصادق الذي صور نبرات المحبوبة تسري بين حنايا نفسه ، وتموج كما يموج الخيط الرقيق من ضوء الشمس الذهبي ، في نشوة وفرح .

كما أن هذا الإحساس وذلك الشوق لا يحتاج إلى ما يستحثه أو يخرج من أعماقه ، إنه شوق طبيعي تعلق بقلبه ، جعله يطرب لصوت محبوبته ، ذلك الصوت الذي لا يشابهه صوت في الجمال والرقّة والعذوبة ، والذي ما أنشد الناس إلا أملاً في سماع مثل هذا الصوت الرخيم والنغمات العذبة الرقيقة ، وما نظم الشعراء إلا على تلك النغمات والترنيمات .

وهكذا استطاع الشاعر التعبير عن تجربته ومشاعره ، التي صدر فيها عن إحساس غامر بالحب والشوق ، تمثل في هذا اللقاء وفي هذه الليلة ، التي ذاق فيها طعم النعيم والقرب من المحبوب ، وفاض فيها الحب على قلبه فراح يرشف شهيداً أعذب من السلسبيل في عليين ، وطرب لصوتها الرخيم العذب ، وفي هذا دلالة على أن " العقاد " قد أحب المرأة ودان لها . أحبها بالجسم والروح معاً ، أحب قدها ووجهها وصوتها وراح يذرف الدموع الملتهبة من شدة الوجد ويعب من الرشيف ،

ويقبل الوجه واليدين ، لعله يبرد غلته ويطفئ ظمئه ، وفي قصيدة أخرى ما يؤكد هذا المعنى :

وَأَلْتُمُّهُ كَيْمًا أَبْرَدَ غُلَّتِي

وهيهات لا تلقى مع النار راويا

فَقَبَلْتُ كَفَيْهِ وَقَبَلْتُ ثَعْرَهُ

وقبلت خديه وما زلت صاديا

كأنا نذودُ البين بالقرب بيننا

فَنَشْتَدُّ مِنْ خَوْفِ الْفُرَاقِ تَدَانِيَا

وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يُقبل على المرأة أولم يفعل ذلك لجمالها أو

للتشهي أو التلهي وإنما أقبل عليها لذاتها<sup>(١)</sup> ، وهو يصرح بذلك ، فيقول :

نَبِّئْنِي فَلَسْتُ أَعْلَمُ مَاذَا

مِنْكَ قَلْبِي بِحَسَنِهِ مَشْغُوفٌ

كَلَّ حَسَنٍ أَرَاكَ أَكْبَرَ مَنَّهُ

إِنَّ مَعْنَاكَ تَالِدٌ وَطَرِيفٌ

لَسْتُ أَهْوَاكَ لِلجَمَالِ وَإِنْ كَا

نَ ذُكَاءً يَذْكِي النَّهْيَ وَيَشُوفُ

لَسْتُ أَهْوَاكَ لِلدَّلَالِ وَإِنْ كَا

نَ ظَرِيفًا يَصْبُو إِلَيْهِ الظَّرِيفُ

١- أنظر، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد، د/ نعمات أحمد فؤاد ص ١١٧ ط ٢، دار المعارف ١٩٨٠.

ومن ثم نرى أن " العقاد " أحب المرأة جسداً وروحاً وجمالاً ، حباً حقيقياً  
عبر عنه في كلمات تنم عن خبرته في فهم الحب ، فيقول <sup>(١)</sup>: " عند الحب سهر  
أحلى من حُلم النوم ، ونوم أيقظ من سهر الخلود .. عند الحب نور يطوي الشمس  
والقمر وموعد ينسى الليل والنهار... عند الحب حياة يهون من أجلها الموت ،  
وموت تباع من أجله الحياة " .

وما زال يجسد هذه المعاني في بقية قصيدته ( الحب الأول ) فيقول :

يا أَمْلَحَ النَّاسِ هَلَا كُنْتَ أَكْبَرَهُمْ

روحاً ، فَيَتَفَقَّأَ رَوْحٌ وَجِثْمَانُ <sup>(٢)</sup>

صَدَّقْتَ بَاطِلَ مَا قَالُوا كَأَنَّهُمْ

لا يَكْذِبُونَ ، أو أن العَدْلَ قَرَانُ <sup>(٣)</sup>

أما عَلِمْتَ بِأَنَّ النَّاسَ أَلْسِنَةٌ

سَوْدٌ لَهَا غَيْرَ مَا تُبْدِيهِ إِبْطَانُ <sup>(٤)</sup>

أحرى مَزَاعِمَهُمَ بِالشَّكِّ أَسِيرُهَا

فَالْحَقُّ مَتْنَدٌ وَالْإِفْكَ عَجَلَانُ <sup>(٥)</sup>

وربَّ قَوْلِهِ زورٍ قَالَهَا رَجُلٌ

منهم فَطَافَ بِهَا فِي الأَرْضِ رُجْبَانُ

١- آخر كلمات العقاد ، عامر العقاد ص ٦٧ ، دار المعارف ١٩٦٥ .

٢- ملح : الملح خلاف العذب من الماء ، والملحج : الحسن من الملاحة ، وقد ملح يملح ملحاً وملحا : حسن وهو المقصود هنا وعليه يكون ملح من أفعال الأضاد .

٣- العذل : اللوم .

٤- إبطان : الباطن خلاف الظاهر ، والباطن المحتجب عن أبصار الخلائق وهو اسم من أسماء الله .

٥- متند : متأنى في الأمر وهو من الفعل تود أو من وأد وتكون التاء في الأولى غير أصلية - الإفك : الكذب وقيل الإثم ، أو المعنى هنا الكذب والباطل . عجلان : العجل والعجله السرعة خلاف البيطه ، والمعنى أن الحق ثابت والكذب والباطل زائل .

تداولوها فراحت في مآذهم

شريعةً نقضها كفرٌ وعصيانٌ<sup>(١)</sup>

ما كثرة المثبتين الأمر تثبته

ولا بقلبتهم للحق إيهانٌ<sup>(٢)</sup>

فإن ألف ضريرٍ ليس يعدلهم

بالمبصرِ الفردِ يومَ الشكِّ ميزانُ

فاضربُ بنعلك دَعواهم فكلهمو

خُواض لَيْلٍ، وهم في الصُّبحِ عميانٌ<sup>(٣)</sup>

وبعد أن أسمعنا الشاعر نبضات قلبه ، وكشف لنا عن خلجات نفسه ، واستمتاعه بالقرب من المحبوب ، حَثَى من الواشين والحناقين ، أن يزرعوا بذور الشقاق والبعد بينه وبين محبوبته . فراح يناجيه ويناديه أن يكون أكبر من هؤلاء جميعاً روحاً وجسماً ، وألا يصدق الناس فيما يقولونه ؛ إذ الكذب واللوم سجية مركوزة في طبائعهم ، وأنهم يظهرون بألسنتهم السود خلاف ما يبطنون ، وأن مزاعمهم باطلة لا بقاء لها في وجه الحق الذي يبقى ويدوم ، " فأمَّا الرِّبْدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُتُ فِي الْأَرْضِ " .

ويحاول الشاعر جاهداً أن يبريء ساحته ما نسب إليه ، وأن ما حدث ما هو إلا قولة زور قالها واحد من الناس فسرت بين الناس كسريان النار في الهشيم ،

١- نقض : النقض إفساد ما أبرم ، والنقض : المراجعة والمرادة والمخالفة والأخيرة هي المعنية في البيت والمعنى : أن مخالفة ما تعارف عليه الناس - ولو كان باطلاً - أمر مستحيل في عرفهم .

٢- إبهان : الإبهان الخزي والتحقير . والمعنى : أن الحق لا يهان ولا يخزي ولو قل أنصاره .

٣- خواض : أصل الخوض المشي في الماء وتحريكه ، ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه في غير وجهه حيث أمكن ، والخوض في الكلام ما فيه الكذب والباطل وهو المقصود في البيت . ومنه قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ... ﴾

حتى أصبحت عقيدة وشريعة في أذهانهم ، لا يستطيعون الفكك منها أو الرجوع عنها ، لكن هذا ليس دليلاً على صدقهم . فالحق لا يضيع بقلّة أنصاره كما أن الباطل لا يدوم بكثرة من يؤيدونه .

وهذه حقيقة صاغها الشاعر؛ ليبرهن على عمق تجربته في الحياة ، ومعرفته بطبائع الناس ومجريات الأمور .

ولذا نراه يأمر محبوبه بأن يضرب كلام الناس بنعله وأن يضعه تحت أقدامه فكلهم كذابون وخواضون ويصرفون الأمور في غير نصابها ، وعندما ينبلج نور الحق يتعامون عنه ؛ إذ يتخذون من الليل ستاراً لمآربهم وشورورهم ، ولا يستطيعون مقاومة الحق والنور الذي يؤذي أعينهم ، ويصيبهم بالعمى .

ولعل هذه الدفقات الشعورية ، تدل على صدق الشاعر في حبه ، خاصة وأنه الحب الأول في حياته ؛ لذا نراه بكل ما أوتى من قوة شعورية ، وإحساس مرهف ، يحافظ على علاقته بمحبوبته ، مهما وشى الواشون وزعم المبطلون .

وهذه حقيقة تصلح للناس أجمعين ، وخاصة بين المحبين ، كما يمكن أن تكون منهجاً يسيرون عليه في كل علاقاتهم وتعاملاتهم .

وفي النهاية يلجأ الشاعر إلى ربه ، ويناجيه ويطلب أن يهبه بداراً ينير به ظلام قلبه ، كما وهب الليل بداراً أضاء الأكوان .

ثم ينفث هذه النفثة التي توحى باغترابه بين أهله وذوي رحمه وأصحابه وجيرانه الذين ليس له دخل في انتسابه إليهم ؛ لذا فإنه يريد أن يؤنس نفسه لا بهؤلاء الناس ، وإنما بالحدود العيون ، رمز الطهر والصفاء ، والنعيم الذي لا ينقطع ، والكواكب النيرة التي تهدي الضالين ، وتنير دروب السالكين ، وفي هذه النفثة يقول:

يا واهبَ اللَّيْلَ بَدْرًا هَبْ لِمَشْبِهِ

بَدْرًا يَضِيءُ لَهُ وَالْقَلْبُ غَيْمَانُ<sup>(١)</sup>

أنا الغريبُ وليَ بينَ الوَرَى رَجْمٌ

بالرَّغْمِ مني ، وَأَصْحَابٌ وَجِيزَانُ<sup>(٢)</sup>

وابعثُ أَنَا الحورَ فالإنسانُ ليسَ لَنَا

بخالصٍ مِنْهُ أَحْبَابٌ وَأَخْدَانُ<sup>(٣)</sup>

أو الكواكبَ سِرْبًا بَيْنَنَا غَزْلًا

إِنَّ الفُضَاءَ بِذَاكَ السَّرْبِ مَلَانُ

وهكذا طوف بنا الشاعر من خلال هذه التجربة ، وأوقفنا فيها على صدق

مشاعره ورهافة إحساسه ، ورأينا كيف استطاع أن يعبر عن تلك التجربة تعبيراً

ينم عما في نفسه من حب وشوق .

١- غيمان : الغيم : السحاب وقيل : هو ألا ترى شمساً من شدة الدجن وجمعه غيوم وغيام.

٢- الورى : الخلق وقال ابني جنى أن الورى لا يستعمل إلا منفيًا . وسوغ هنا لأن كلام العقاد في معنى النفي فكأنه يريد أن يقول أنه بالرغم من كثرة أهله وأصحابه إلا أنه ليس له في الورى حبيب .

٣- أخدان : الخدن والخدين : الصديق والجمع أخدان والخدن هو الذي يخادتك ، فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُتَّخِذُوا أَعْدَانٍ ﴾

## الملاحح الفنية والتعليق

هذه القصيدة عارض بها " العقاد " قصيدة " ابن الرومي " النونية ، التي قالها في مدح الوزير " اسماعيل بن بلبل ، وكان بن الرومي قد بدأها بمقدمه غزلية طويلة ، ورائعة في وصف محبوبته ، وصفاً حسياً ومعنوياً ، ثم وصف النساء عامة وما يتمتعن به من كيد ومكروخداع . ثم انتقل إلى غرضه الأصيل وهو مدح الوزير إسماعيل بن بلبل ، لكن العقاد حينما عارضه لم يعارضه إلا في المقدمة الغزلية التي راقته له وأطلق على قصيدته عنوان ( الحب الأول ) ، ولذا فإن الغرض الأصيل في هذه القصيدة هو الغزل كما يوحي عنوانها .

وإذا كان " ابن الرومي " قد نهج في قصيدته التي مطلعها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان

فيهن نوعان تفاح ورمان

وفوق زينك أعصاب مهذلة

سود لهن من الظلماء ألوان

نهج القدماء في إنشاء القصيدة الغنائية ، لكن بصورة متطورة ، فرضتها طبيعة الحياة في العصر العباسي ، فإن العقاد يعد رائداً من رواد التجديد في الشعر ، وأحد الداعين إلى بناء القصيدة بناء موضوعياً متماسكاً؛ بحيث لا يستقل بيت عما سبقه وما لحقه ، ولا يمكن الانتقال من موضوع إلى آخر ، لذا فقد جعل موضوع معارضته " لابن الرومي " هو الغزل ، لكنه على الرغم من دعوته إلى الوحدة الموضوعية والعضوية في القصيدة إلا إنه بدأها بمقدمة في وصف الطبيعة وسحرها ؛ تمهيداً للدخول في موضوعه الأصيل وهو الغزل ، وهو في ذلك متأثر " بابن الرومي " الذي عشق الطبيعة ورأى فيها جمال المرأة وحسنها .

والحق أن مقدمة قصيدة "العقاد" جاءت متناسبة مع الغرض الأصيل لموضوعها الذي وضعت من أجله وهو الغزل؛ إذ إن هناك علاقة - في مفهوم الشاعر - بين الطبيعة والمرأة؛ لذا تأتي المقدمة وكأنها جزء من القصيدة، لا يشعر القارئ بأن هناك فاصلاً بين المقدمة والموضوع.

وأول ما يطالعنا في هذه القصيدة هو أن "العقاد" قد وظف الطبيعة واستخدمها بما يتناسب وميوله واتجاهه في الغزل، فنراه قد استعان في موضوعه بعناصر الطبيعة الجميلة الساحرة، من زهور ذات رائحة شذية، وورود ذات ألوان باهرة، تثير النفس وتحرك العاطفة، وتبعث على الراحة، وتلفت الأنظار، وهذا دليل على أن غزله معنوي، تحس من خلاله حرارة الشوق وتحرق الوجدان، وليس غزلاً حسيماً مادياً. والآيات من ١: ٤ توحى وتؤكد صدق ما ذهبنا إليه.

وهكذا نرى أن الشاعر قد وظف الطبيعة توظيفاً يتلاءم مع ميوله واتجاهه في الحب والغزل، كما دلّ استخدامه للطبيعة على حبه لها وولعه بها.

وباستقراء القصيدة نرى أن "العقاد" قد عالج موضوعه بما يتوافق وتوجهه في الحب والغزل، وقد سيطرت عليه نزعته الخاصة في هذا الموضوع.

فحينما ننظر إليه لنرى كيف عالج وصف محبوبته، وعبر عن تجربته نجد أنه وصفها بالجمال الخالص في مظهرها ومخبرها وروحها وجسدها، وفي هجرها ووصلها، ولعل ذلك راجع إلى مزاجه وهيامه بحبه، فاستوى عنده وصالها وهجرها، ورأى فيهما متعة ولذة، وقد استطاع "العقاد" أن يعبر عن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس بقوله:

بالغصن شبه من ليس يعرفه

وإنما هو الرائين بستان

يا من يراني غريقاً في محبته

وجداً ويسألني هل أنت غصان

واضعية الحب أبعده وأكتمه

ومن عنيت به عن ذاك غفلان

إن التعاطف بالأرواح بغيتنا

وفي الوجوه على الأرواح عنوان

كما نلحظ في الآبيات إشارة صريحة إلى أن الشاعر لا يريد التواصل المادي، بل يهدف إلى التواصل والتعاطف الروحي الذي يملأ بالأنس والبهجة والسرور أوقاتاً طويلة، ولا يتحقق ذلك من التواصل المادي، الذي يزول بزوال أسبابه ودواعيه. ومن ثم نستطيع أن نقول أن الشاعر قد أعطانا خلاصة فكره وعصارة تجربته وخبرته في الحب والغرام ومعرفته بطبائع النساء.

هذا من ناحية الموضوع وكيف عالجه الشاعر وسار فيه، أما من الناحية الشكلية فإننا نراه قد اختار ألفاظه ومعجمه الشعري بدقة فائقة وبراعة عالية حيث دلت ألفاظه وتراكيبه على ما يدور في خلد من مشاعر وأحاسيس، وكشفت عن تجربته وعاطفته كشفاً صحيحاً، وهذا ما ينبغي على الشاعر المجيد حين يريد معالجة تجربة من التجارب، فعليه أن يعتمد لنفسه كمّاً ضخماً من الكلمات التي يخدم أو يعرض بها موضوعاً ما، فيجب أن تكون هذه الكلمات ملائمة ودالة على هذا المعنى الذي يسوقه. وهذا ما يطلق عليه المعجم الشعري، وهو بهذا الوصف يساعدنا على معرفة الشاعر ونفسيته، وذلك من خلال نوعية الكلمات التي يكثر دورانها في شعره؛ إذ إن ما يعبر الشاعر عنه حقاً هو طبعه وشخصيته العميقة، وما يفضل وما ينفر منه، ومظهره ونمط حياته ونفوسه واتزانه وحيويته وفتوره.

ولذا فإن اختيار الشاعر لكلمات معينة يرجع لأسباب نفسية، أو لاتجاه شعري؛ إذ إن لغة الشاعر جزء من تركيبته النفسية، وأن انتقاءه للكلمات

والمفردات يعتمد على طبيعة ما يريد الإفصاح عنه من داخل تكوينه الذاتي ، ومما ترسب من أعماقه .

وبناء على ذلك . فإننا إذا نظرنا إلى معجم " العقاد " الشعري في هذه القصيدة نرى أنه كان يعرف الألفاظ والتراكيب التي تولد الانفعال ، كما كانت لديه موهبة وقدرة على وضع الألفاظ في تتابع إيقاعي ، يدل على ما في نفسه من انفعال شعوري ، هذا بالإضافة إلى عنايته باختيار الكلمات التي لها جرس يضفي على دلالة الكلمة ملابسات ومشاعر في نفسه ، أو تكون بعيدة عن النفس البشرية بصفة عامة .

وأول ما يطالعنا في هذه القصيدة من مختارات لفظية هي تلك الألفاظ التي توحى باندماجه في الطبيعة ، وتوحى بمكنون نفسه الشاعرة التي تعشق الجمال الطبيعي ، ولعله متأثر في ذلك " بابن الرومي " الذي كان مبرزاً في هذا المضمار ، ومن هذه الألفاظ ، زهر - أطيبار - أفنان - الربيع - رضوان - وشائع النور - البستان - الأرض حالية - الماء - الشمس - الآفاق صافية - أشجار - النسيم - روض - ورد - الياسمين - أغصان - القرنفل - البنفسج - الليمون - الليل - بلابل - كروان - الصبح - أنوار - الشرق والغرب - أسحر وأصلان - الفضاء - الفردوس - الطبيعة - النهار - شجر - غزلان - الحوت - حمائم - الدراري - ظلام - موج - سلسبيل - شهد - النيل - النحل - البدر - الكواكب ، إلى غير ذلك من عناصر الطبيعة ومفرداتها .

كما نلاحظ - كذلك - تتأثر بعض المفردات التي توحى بالحب والسعادة والرضا والتفائل ، وتتناسب والموضوع الذي يتحدث فيه مثل : يهنيك - طويك - ينشد - رضا - نعيم الخلد - باسمه - تضحك - مستأنسات - ألحان - فرح - فرحان - المحب - عرس - محبة - وجد - محبين - الحسن - التعاطف بالأرواح

حب الجمال - نجوى - أحضان - عفة - ندمان - جوهر- ضوء قلبي - ضاحكة -  
أغنم - وصل- عطف - سعادة - وصال - بهجة - الهوى - نشوان - أطرب -  
أحباب - أخدان - الحور، إلى غير ذلك من الألفاظ الرقيقة العذبة التي تشيع جواً  
من التفاؤل والحب في داخل القصيدة، وتوحي بمكنون نفسه العاشقة للحياة  
المتطلعة إلى الحب والجمال .

كما نلاحظ - أيضاً - في معجم " العقاد " الشعري في هذه القصيدة بعض  
الألفاظ الغريبة، وكان في استطاعته أن يأتي بغيرها؛ وبخاصة وهو الداعي إلى  
التجديد الشعري وتمسكه وإفادته من تراث الماضي وافتتانه به يصوره جعلت  
معجمه الشعري مميّزاً عن شعراء عصره ومدرسته .

ولعل السرف في استعماله لبعض الألفاظ الغريبة أنه كان يتعالي بها على  
معاصريه الذين كانوا ينظرون إليه نظرة متواضعة، من حيث المؤهل الذي وصل  
إليه، فما كان منه إلا أن استوعب الغريب والمهجور ليتخذ معجماً شعرياً  
خاصاً ليتحدى أصحاب المؤهلات العالية الذين لا يصلون إليه، أو ليتحدى  
شيوخ الشعراء - آنذاك - من أمثال: " محمد عبد المطلب " و " حفني ناصف " و  
" علي الجارم " من أصحاب مدرسة الأسلوب الذين لا يرون في الشعر إلا  
استعارة لطيفة، أو لفظاً فخماً جميلاً. ومن هذه الألفاظ الغريبة: ألاقه بمعنى  
متألقة - إرغان بمعنى إنصات - رقان أي مزركش - روع أي صباحه الوجه  
وجماله - تنصاح أي تنجلي - القنعان أي الذي يرضى بالقليل - البحر النجر أي  
الأصل - الأوهاق أي الأحابيل - ثغبان - أي غدران .

وهكذا نرى من خلال القصيدة أن معجم " العقاد " الشعري قد عبر عن  
حالته النفسية واتجاهه الفكري وتوجهه في الغزل، إذا اعتبرنا أن الأسلوب هو  
الرجل، أو أن الأسلوب صورة لصاحبه .

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر من الجوانب الشكلية في القصيدة وهو الصورة والخيال ، فإننا نذكر أولاً أن الصورة الأدبية من الأمور التي يركز عليها الشعر ، فهي المعرض الذي يعرض فيه الشاعر أفكاره وخواطره ، كما أنها تتلون بعاطفته وانفعالاته وتتكون من الكلمات والعبارات في نسق يخطط له الأديب في اختيار نقطة البداية ولحظة النهاية ، وفي اختيار اللغة المناسبة ، والوزن القادر على الإحياء بالعاطفة الموفقة التي يدل تكرار الصوت فيها أو تنوعه على حالة نفسية مقصودة .

أو هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق - الفني الحي - لوسائل التعبير التي ينتقيها الشاعر المطلق من عالم المحسنات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى ، في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين .

وهي بذلك تعد أصدق تعبير عما يجول في النفس من خواطر وأحاسيس وأدق وسيلة تنقل ما فيها إلى الغير بأمانة وقوة ، وأجود موصل إلى الآخر في سرعة وإيجاز ووفرة ، كما أنها أجمل وأنضـر طريقة في شد العقل والخيال إليها ، وربط الإحساس بها وتجاوب المشاعر لها ، وإحياء العاطفة وسحر النفس .

والصورة بهذا المعنى تحتاج إلى مصور بارع ليجمع شتاتها وينسق ألوانها حتى تكون موحية ومعبرة عن خواطره وأفكاره وتجربته ، وأهم هذه الأدوات الألفاظ والعبارات وشيء من الخيال .

والصورة الرائعة يصل الشاعر من خلالها وبها إلى قلوب الآخرين ، ويؤثر فيهم وإذا نظرنا إلى قصيدة " العقاد " لتتعرف إلى أهم خصائص الصورة الشعرية فيها ، نجد أولاً : أن مدرسة الديوان وعلى رأسها " العقاد " جعلوا الصورة الشعرية وسيلة لإظهار علاقة الشيء بنفس الشاعر، والتعبير عن الأثر النفسي الذي انطبع في وجدانه ومشاعره ، حتى يثير في نفوس سامعيه وقارئيه انفعالاتاً مماثلاً للانفعال

الذي أحس به ، وبذلك نقلوا الخيال - وهو أهم عناصر الصورة - من مجاله الحسي الذي كان يدور فيه وكان يعني بإعطاء صورة للشكل الخارجي للأشياء وتجسيمها لجرد الجمع بين صفات حسية دون ارتباط بأحاسيس الشاعر ووجدانه ، إلى وسيلة لإظهار مراد الشاعر والتأثير به في نفوس الآخرين .

هذا بالإضافة إلى تجديدهم في الخيال وعدم الوقوف به عند استعمال العرب بل اتجهوا إلى أخيذة اخرى مستقاة من ثقافتهم وقراءاتهم في أدب الغرب ومن حاستهم الفنية المتذوقة للجمال .

لذا فقد انخرط " العقاد " في سلك الشعراء الوصافين الذين يعمدون إلى تجسيد مشاعرهم تجسيداً حسيّاً في صورة حركية ، ذلك ليبعد الغربة عن نفسه ، وينفض عنه أسباب العزلة ، ويحيل الطبيعة إلى شيء أليف محبوب .

وأول ملامح صور " العقاد " أنه ينقل الشيء الحقيقي ، لا كما يبدو للحس ، بل ينقل لنا شكل هذا الشيء في نفسه الشاعرة التي تنظر إلى معاني الأشكال المجردة لا إلى مادتها المحسوسة ، كأن يمضي إلى الطبيعة ليتلقى منها ضرباً عديدة من الإيحاء أو ينشد لديها المفتاح الرئيس لأنغامه الكبرى، ثم يخلق من خياله الانسجام الفني الذي يصوغه على هذا الأساس ، يقول " العقاد " في تصوير الربيع والطبيعة :

هذا الربيع تجلى في مواكبه

وهكذا الدهر أن بعدها أن

تفتحت عنه أكماس السماء رضا

وزفه من نعيم الخلد رضوان

وشائع النور في البستان باسمه

والأرض حالية والماء جذلان

الشمس تضحك والأفاق صافية

جلواء والروض بالأثمار فينان

وللنسيم خفوق في جوانبه

وللطيور ترانيم وألحان

فالصورة تمثل الربيع في جماله وروعته ، لكن الشاعر ينفذ من خلال هذا المنظر الحسي ، إلى طوية نفسه فيجد أن السماء قد رضيت عن الربيع فصارت صافية ، وأصبح البستان في حالة من السرور والفرح ، انسحبت على كل الأشياء في هذا البستان من ماء وورد وزهور ، حتى الشمس بأشعتها التي تملأ الكون دفئاً وحرارة ، خلغ عليها من إحساسه وعاطفته فجعلها ضاحكة مسرورة . ويمتزج هذا السرور بتلك الحركة الرقيقة المنبعثة من ذلك النسيم الذي يلف جنبات الكون ، فيغري الطيور بالغناء والشدو .

وهو هنا متأثر " بابن الرومي " الذي كان مولعاً بتصوير الطبيعة ووصفها ، إذ كانت تمثل عنده حياة النفوس والقلوب ، وأنها حياة تتحرك في كل المخلوقات من أرض وسماء ونبات وطيروماء وأشجار ، إلى غير ذلك من عناصر الطبيعة العديدة .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان " العقاد " هنا أكثر عمقاً في تصويره للوجد الذي ألم به من المعشوق من " ابن الرومي " ذلك أن الأول صور الوجد في حديثه إلى الزهر الذي أمضه ثقل الثمار عليه ، وتناوب الطير فوقه ولا عليه أن يحزن مثل المحب ، لأنه ليس بإنسان ظاميء معذب لكنه ريان ناعم الملمس ، غض البدن ، طري القوام .

وصورة أخرى " للعقاد " في هذه القصيدة ، تتمثل في تصوير إحساسه بمحبوبته ، فيخلع على الكون - بما فيه من عناصر مختلفة - تجربته وإحساسه ،

فيصف هذه المشاهد من خلال آثار المحبوبة في نفسه ، فيرى الكون وقد غمره الفرح والسرور ، وسرت في أرجائه البهجة حتى لم يعد يتسع براحبته لهذا الفرح ، وذلك العرس الذي أقامته الدنيا ، وانشغل عنه الحب الذي أضناه الوجد والهوى ، يقول : " العقاد " :

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح

فكل ما فضاء الله فرحان

إلا المحب الذي لا حبه دنس

ولا مودته خب وإدهان

نفاه عن عرس الدنيا شواغله

إن الحداد عن الأعراس شغلان

فهذه صورة دقيقة وعميقة تلاءمت أجزاءها وعناصرها ، وأوشكت على الكمال ، لولا تورطه في بعض الصور الجزئية التي أدت إلى تمزيق النسيج المتلائم وتهتك النظم والوحدة التي كان يتزعمها وينادي بها في النقد، ومن هذه الصور الجزئية استعماله لكلمة ( ضاق ) التي تدل على الضيق والانحسار وكان الأولى أن يستعمل كلمة ( فاض ) بدلاً منها لتناسب مع عناصر الصورة ، كما استعمالها فيما بعد في قوله :

فاض الهيام على قلبي ففاض به

نبح له من وراء الدمع شيطان

كما جاءت كلمات : خب ، ادهان ، نفاه ، شواغله ، الحداد ، شغلان في غير مواضعها ، مما شوه الصورة ومزق وحدتها ، ولم تعبر عن مراده وإحساسه تعبيراً دقيقاً .  
ومن الصورة التي برع " العقاد " في تنسيقها ونسجها ، صورة حركة نفسه وما بداخلها من خواطر ومشاعر ، ومن ذلك تصويره لتلك الليلة التي نعم فيها

بالوصل مع حبيبته بأنها لن تعود؛ إذ حطمت أنوال حائكها، وقد كان العيش قبلها شوقاً ينعم به وبعدها كان ذكراً وتحناناً، وفي أثنائها تمتع بالوصل، وألوان من الجنات الدائمة حتى طالت ولا يدري أهى ليلة أم أنها أزمان؟، يقول "العقاد" في وصف هذه الحركة النفسية:

يا ليلة حطمت أنوال حائكها

فلا يحاك لهما في الدهر ثنيات

العيش من قبلها شوق نعمت به

والعيش من بعدها ذكر وتحنان

طالت ولا غرو فالجنات خالدة

وفي الوصال من الجنات ألوان

أصبحت والله لا أدري لبهجتها

أليلة سلفت أم تلك أزمان

فقد جمع في هذه الصورة حركة نفسه ومشاعره في الماضي والحاضر والمستقبل، وقد جمعت الليلة كل هذه الأزمان، واتسعت كاتساع الجنات ودوامها.

لذا جاءت الصورة منتظمة الأبعاد، متناسقة الألوان وخاصة ألوان الجنات المليئة بشتى الثمار، مما جعل الصورة معبرة عن نفسية "العقاد" تعبيراً دقيقاً.

وإذا كان "العقاد" قد أوقفنا بهذه الصورة على شعوره أثناء لقاء محبوبته ففي المقابل يصور فقدته لها تصويراً ينم عن حبه وولفه وشدة وجدده ومعاناته من هجرها، فيقول:

يا جوهرأ بت أرعاه على أمم

رعى الشحيح، ومالي فيه سلطان

ما في يدي منه لا عين ولا أثر  
ولي عليه مغاليق وأعيان  
قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً  
وقد تولى ، فحظى منه فقدان  
إني إلى الرعى من عينيك مفتقر  
يا ضوء قلبي ، فإن القلب مُدجان

فقد استطاع أن يجمع في هذه الصورة بين صفات محبوبته ، ذلك الجوهر المضيء الذي بات يرعاه عن كثب وبين ذلك القلب المظلم ببعد محبوبته عنه ، كما أن استعماله لكلمة ( الرعي ) أعطت للصورة مساحة أكبر وأرحب مما لو استعمل كلمة ( النظر ) ؛ إذ إنها - أي الثانية - تعني النظر فقط ، أما ( الرعي ) فتعني الرعاية والاهتمام والمسئولية تجاه المحبوب ، وهذه صورة جزئية أسهمت في إبراز الصورة الكلية وإيضاحها.

وبعد .. فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن تجربته أصدق تعبير وأجمله ، من خلال معالجة فنية أوقفتنا على شاعريته وتمكنه من أدوات فنه ، التي ساعدته في الإتيان ببعض الصور العميقة والدقيقة - في الغالب - وإن اتسم البعض الآخر بالغموض والإبهام .

كما ينبغي أن نشير إلى أن " العقاد " في معارضته هذه قد استفاد كثيراً من " ابن الرومي " في جوانب متعددة .